

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المرأة في القرآن الكريم

مكانتها، حقوقها، الأحكام الخاصة بها

تأليف
إسراء أسد



■ المرأة في القرآن الكريم
(مكائنها ، حقوقها، الأحكام الخاصة بها)

التأليف : إسراء أسد

الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: ١٤٣٢ هـ

المطبعة: مجاب

عدد النسخ: ٣٠٠٠

ردمك: ٩٧٨-٩٦٤-٥٢٩-٦٩٥-٥

info@ahl-ul-bayt. org
www. ahl-ul-bayt. org

حقوق النشر محفوظة للناشر

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليه السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطي أهل البيت عليه السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطي أهل البيت عليه السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل

٨.....المرأة في القرآن الكريم

والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليه السلام، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلًا عذباً للنفوس الطالبة للحقّ، لتنتفع على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدّم بالشكر الجزيل للأخت السيّدة إسراء أسد لتأليفها هذا الكتاب. وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية

المقدمة

«وضع المرأة قبل الإسلام»

واجهت المرأة في العصور الجاهلية شتى أنواع الاضطهاد والتعذيب، الانتقاص من مكانتها، فحالتها لا يختلف عن حال الأسير المسترق، بل لم تكن طبيعة حياتها تختلف كثيراً عن طبيعة حياة الحيوان! فكانت تمتهن وتستذل بكيفيات عدة..

فهي تُكره على البغاء إن أرادت تحصناً، بل يرجع أمر زواجها إلى الوالي عليها أب أو أخ أو حتى كفيل، فهي ملك له، له الحق في أن يجعلها في بيته دون زواج، أو أن يزوجه من يشاء وما عليها إلا أن تطيع مولاهم... وقبل هذا وذاك قد كانت تُدس في التراب حيّة، لا ذنب لها إلا لأنها أنثى، يدسها ليمسح وصمة العار التي طبعت على جبينه، فيرجع بعد وأدها يمشي الخيلاء وكأنه نجح في طرد الشؤم والعار والمذلة!

وقد وصف القرآن الكريم حال هذا الرجل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا

١٠.....المرأة في القرآن الكريم

بُشِّرَ بِهِ أَيُّسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ^(١).
ولو سلمت من الوأد لا تسلم من الظلم والبخس، فكانت
تُشتري وتُباع كالبهيمة!

ولو حالفها الحظ وتزوجت! يُستهان بحقها الجنسي فيُظاهرها الزوج
ويعتبرها أمًّا له، وتُذل كأرملة..

وتحرم من حقوقها الطبيعية كحق التعبير عن الرأي وحق
التعليم والحق المالي والأدبي. بل تحرم حتى من حق الحياة ايضاً،
ففي بعض المجتمعات تدفن حية مع الزوج إذا توفي! أو تحرق مع
جثمان الزوج وهي على قيد الحياة، وإلاّ تعيش حياة أسوأ حالاً
من قبل، ولا يخفى ما في ذلك من انتهاك لمبدأ المساواة في الحقوق
والكرامة، فهم لم يتعاملوا معها على أساس الإنسانية، فهي لم تخلق
إلاّ «لأجل الرجل».

بل ولم تكن هذه العادات حكرًا على عرب الجاهلية، بل كانت
نظيراتها ربما اُبشع حالاً منها عند الأمم الأخرى.

يقال ان «سقراط» قد أعار زوجته إلى «السيبياد» الخطيب..
وأم «ديموستين» هذا قد أهداها أبوه إلى أحد أصدقائه^(٢).

١ - النحل: الآية ٥٨ - ٥٩.

٢ - حقوق الإنسان في الإسلام، مقال الحقوق الإنسانية للمرأة في الإسلام . للسيد الخامنئي
ص ٣٧٠ (كتاب يحتوي على مجموعة مقالات اعدت للمؤتمر الخاص للفكر الإسلامي في
طهران ١٤٠٨هـ).

وربما ساسها الزوج بقتل او ضرب او غيره! ألا ساء ما يحكمون.
وبهذا رأينا من المناسب ان نعرض صوراً مختصرة عن حال المرأة في
الحضارات القديمة:

ففي الصين: كتبت امرأة من اشراف الصين عن المرأة في عصرها تقول:
«إننا نحن النسوة نعيش في أدنى مركز اجتماعي، ويعهدون الينا بأحط
الاعمال» وقد جاء في بعض الأناشيد الصينية: «ليس في الدنيا شيء أحط
وأرخص من المرأة».
وفي الهند: كانت المرأة ينظر اليها كخادمة أو وصيفة، وكان عليها ان
تنادي زوجها ياسيدي، وكان يُمنع عليها ان تتنطق باسمه.
وفرق كبير بين أن تكون هذه الأمور تعاليم تفرض على المرأة فرضاً،
وبين أن تكون طبائع تتخلق بها.

وفي اليونان القديمة: يقول أحد المؤرخين اليوناني: «يجب أن يسجن
اسم المرأة في البيت مثلها» وفضلاً عن ذلك فقد كانت المرأة في اليونان تباع
أو تهدى...^(١).

وفي عصر الحضارات اليونانية والمصرية والرومانية والایرانية، حيث
اعترف بالمرأة بأنها إنسان وذلك على اثر ظهور الاديان السماوية، وبمرور
الزمن شاركت المرأة حياة الرجل دون الاعتراف لها بالشخصية الحقوقية

١ - حقوق الإنسان في الإسلام ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

١٢.....المرأة في القرآن الكريم

الاجتماعية وكانت خاضعة لإرادة الرجل كلياً^(١).

وما كان على تلك المرأة الا ان تطيع الرجل أباً كان أو أخاً أو زوجاً، بل وإبناً!

هذه خصائص تلك الاجيال الوحشية قبل مجيء الإسلام، بل وقد استمر حالها في اوربا على مثل تلك الصور حتى عهد قريب. ولقد تضمن الاعلان العالمي لحقوق الإنسان كثيراً من تلك الصور نذكر منها:

١ - المرأة كائن طفيلي. اما النعم الإلهية فقد خلقت للرجل.

٢ - المرأة خلقت للرجل، لا العكس، ولا بالتقابل.

٣ - المرأة كائن وضع بخس.

٤ - الرجل كائن شريف، لكن المرأة تفتقر إلى الشرف.

٥ - المرأة شيطان وهي جراثومة الإثم والفساد.

٦ - المرأة لا تدخل الجنة^(٢).

وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياها الشعب الفرنسي في اوربا أن قرروا بعد خلاف وجدال «أن المرأة إنسان إلا أنها خلقت لخدمة الرجل»!^(٣).

١ - حقوق المرأة في الإسلام واوربا: ٢٧ ط ١٩٧٨ م.

٢ - حقوق الإنسان في الإسلام ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

٣ - دستور الاسرة في ظلال القرآن، احمد فايز: ١٩، ط ١ ١٩٨٠، عن محمد رشيد رضا، كتاب: حقوق النساء في الإسلام ص ٦.

وفي سنة ١٧٩٠م، بيعت امرأة في أسواق انجلترا «بشليين» لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها. وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢م، محرومة من حقها الكامل في ملك العقار وحرية المقاضاة... وكان تعلم المرأة سبباً تسمّى منها النساء قبل الرجال، فلما كانت «اليسابات بلا كويل» تتعلم في جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ - وهي أول طبيبة في العالم - كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها، ويأبين أن يكلمنها، ويزوين ذيوهن من طريقها احتقاراً لها، كأنهن متحرزات من نجاسة يتقن مساسها، ولما اجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة «فلادلفيا» الأمريكية، اعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصدر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد، وتصدر كل من يستشير أولئك الأطباء...^(١).

إلى غير ذلك من المبادئ الغربية التي تظن ويظن الآخرون انها تعطي للمرأة الحقوق الكاملة والحرية الفريدة!

وجاء الإسلام ليرفع العرب من تلك الوهدة الجاهلية. فغيّر الأنماط الاجتماعية والثقافية وغيرها من ذلك المجتمع البائس.

فنرى ان المرأة الغربية المتزوجة تفقد حتى اسمها بعد الزواج إذ ان القوانين والاعراف الغربية تقرر ان المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم اسرتها، فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان، بل تحمل اسم زوجها واسرته أو تتبع اسمها الصغير باسم زوجها، ... وفقدان المرأة لاسمها وحملها

١ - انظر: الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية، خليفة احمد العقيلي ص ٢٣. دار الكتب الوطنية بنغازي ط ١ / ١٩٩٠م.

اسم زوجها يرمز إلى فقدان الشخصية المدنية للمرأة الغربية المتزوجة واندماجها في شخصية زوجها، على حين انه بحسب النظام الإسلامي تحتفظ المرأة بعد زواجها باسمها واسم اسرتها ولا تحمل اسم زوجها مهما كانت مكانتها^(١).

ودفاعاً عن تلك الهوية المغصوبة! رأينا ان نتصفح اوراق القرآن الكريم لنرى ان الإسلام هو الوحيد الذي نطق بحقها الضائع فكان مجيئه ثورة عظيمة على صعيد الجهل والتعسف، فنبذ كل تلك العقائد المهيمنة على ذلك المخلوق الضعيف، واقام انموذجاً جديداً في العلاقات الاجتماعية فضلاً عن العلاقات السياسية والادبية والقضائية ايضاً! هذا مما دعانا ان نكتب موضوعاً ينطق بحقوق المرأة في ظل الإسلام الكريم.. لكن كثيرة هي الكتب والبحوث الناطقة بحقوق المرأة وقليلة هي الممارسات العملية والتطبيقية! و «الإسلام» الدين المحمدي الأصيل الذي شع نوره في ارجاء المعمورة عامة وعلى المرأة المظلومة المغصوب حقها خاصة؛ قد كرمها وأجلّ من قدرها وردّ العدوان عليها وتوعد الجناة بالعقاب الأليم. فقد جاء ليهذب السنن والآداب وأصلح أخطاء العصور الغابرة وردّ على تعسف الناطقين بحقوقها زيفاً وطمعاً حتى اكتسبت هذه المرأة منزلة لم تكتسبها من قبل.

١ - انظر : المرأة في القرآن للعقاد ص ١١١ - ١١٢.

وجاء الميزان العادل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)
الميزان الذي لا ينكفأ والبعد الذي لا ينتهي، بعيداً عن العرق والجنس والمال والمنصب والجمال وإلى ما شابه..

لها كرامة ككرامة الرجل وحق كحقه وثواب وجزاء غير منقوص حيث لا فضل ولا محابة إلا بتقوى النفس وصيانتها من دواهي الفساد..
فدبت الحياة في تلك المرأة المجاهدة، وأخذت تدفع الأرض بيديها المتعبتين لتقوم على قدميها الحافيتين مستقيمة الظهر، ناكثة تلك الأسفار التي كانوا يحملونها على ظهرها!
وقفت تنظر لأول مرة أشعة النور فأبصرتها بعد ان غابت أو غُيبت عنها اجيالاً عدة.

تلك هي «هويتها» التي عرفتها في ظل الإسلام الحنيف؛ فهي كالرجل إنسان تشترك في «مادته وعنصره»!
دافع عنها الباري عز اسمه بآيات محكمات وبيّن مكانتها وحقوقها ووضع احكاماً خاصة لها.. فهي إذن صنو الرجل، ونصف المجتمع، بصلاحتها يصلح وبفسادها يفسد. وقضى على التمييز ضد المرأة وندد بأولئك الذين يعاملونها اشد معاملة ويحرمونها كل الحرمان.

١٦.....المرأة في القرآن الكريم

وللأسف الشديد حينما نرى بعد رجوع تلك المنزلة وتأصلها، يحاول البعض اخفاءها؛ فنرى ان هناك احكاماً قرآنية ثابتة قد اهملت كل الأهمال؛ لانها تتصل بمصلحة المرأة، حتى اصبح القرآن الكريم - عند البعض - خاصاً للتلاوة لا التدبر والعمل، بل حبراً على ورق ولم يبق منه إلا رسمه. ولا يخفى ما في ذلك من اجحاف وإهانة للكرامة الإنسانية لذلك اخترنا هذا الموضوع لنبيّن فيه ذلك الحق المضيع، وبه استعنت، ومنه التوفيق عزّ اسمه.

وقد تضمنت هذه الدراسة أربعة فصول: تناول الأول مكانة المرأة عند الله سبحانه وتعالى، وتناول الثاني حقوقها، وخصص الثالث لبيان مدى مشاركتها في الحياة الاجتماعية، والرابع تناول بحث الأحكام الخاصة بها.

المدخل

حثّ القرآن الكريم على الحفاظ على كرامة المرأة المسلمة، ودعا إلى الالتزام بما يأمره الشرع تجاهها، تجاه هذا المخلوق الذي لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة، المفتقر إلى الحنان، الذي يأنس بالمودة والحنو.. تلك المرأة التي لا تستطيع ردّ عدوان من اعتدى عليها إلاّ أن تنهال دموعها كشط هاجت مياهه، أو تنزوي في احد اركان البيت كالعبد الذليل، حيث لا وسيلة للدفاع عن النفس.. لكن لا يضيع حق فرد؛ إن كان هناك طالب هذا الحق.. في هذه الاثناء جاء القرآن الكريم بوحى ناطق، يضج لضجيجها ويأمر بمودتها بل يتوعد الذين لا يرعون حقوقها بالعذاب الخالد!

من هنا تميز العالم الإسلامي على انه عالم واقعي، عادل وشامل لكل نواحي الحياة ومشاكلها، فلم يترك التوجيه القرآني هذا الكيان الصغير المسمى «بالأسرة» بل اهتم به لأنه اللبنة الأساسية في بناء الجيل الإسلامي، فكيف إذن بالقضايا الأخرى التي تعد اكبر كيان، واعظم أساس في البناء الحضاري؟!

ويمكن حصر أهم النقاط التي جاء بها الإسلام في تنظيم العلاقات بين الجنسين بما يلي:

١ - عدم المفاضلة والمحابة، وابرار معنى التقوى التي هي أساس ذلك ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

١٨.....المرأة في القرآن الكريم

٢ - تقسيم الحقوق والواجبات، وخاصة حقوق المرأة المسلمة عنها في العهد الجاهلي في شتى الميادين؛ فلا إكراه على البغاء ولا ظهار، ولا استعباد، ولا تحميل المرأة ما لا طاقة لها به، إضافة إلى الاعتراف بحقها العام، فأشركها مع أخيها المسلم في البيعة والشهادة والإرث والتعليم والعمل والقضاء وغير ذلك.

٣ - التهديد والوعيد للطغاة الذين يبطشون بالمرأة؛ فقد وعد سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد لمن يأدها وهي طفلة - كما كان في المجتمع الجاهلي - ولمن يستحييها، كما كان في المجتمع المصري الفرعوني، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم، ولمن يغصب حقها كحق الإرث وحق التعبير عن الرأي وغيره.

٤ - تشريع الزواج والطلاق لما في هذا التشريع من بقاء للنوع الإنساني وضمان للمرأة على وجه الخصوص.

٥ - وضع جملة من الأحكام، التي تواجه المرأة والتي يستعصي حلها من أمور الدين وشؤون الحياة على الصعيد الديني والسياسي والاجتماعي والقضائي وغيره.

الفصل الأول

مكانة المرأة في القرآن الكريم

المدخل:

قال تعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١).

من خلال هذه الآية المباركة وآيات أخرى سنمرُّ عليها في معرض بحثنا. نرى المساواة بين الذكر والانثى في جزاء الأعمال، وأن مكانة المرأة في الإسلام لا تختلف عن مكانة أخيها الرجل. فهما متساويان في العطاء والجزاء، حيث لا محاباة ولا تفاضل، وصرحت هذه الآية المباركة بأن السعي الذي تقوم به المرأة والذي يقوم به الرجل غير مضيع عند الله ولا خائب.

وفي قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ تعبير صريح بعدم الاختلاف والمفاضلة، فالمرأة والرجل جميعاً من نوع واحد لا فرق بينهما ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ و﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فلا كرامة إلا للتقوى، والفضيلة هي مقياس المفاضلة وأساس التقديم على الآخر.

ولو تصفحنا القرآن الكريم نرى جملة من الآيات المباركة تختص بالمرأة وحدها وقد افرزنا من هذا الكم الهائل ما جاء في تكريم المرأة والدفاع عنها وارجاع حقوقها، وأخرى تبين أن للمرأة واجبات إضافة إلى المساواة بين المرأة والرجل في حقوق مشتركة.

١ - آل عمران: ١٩٥.

المبحث الأول

حواء في الجنة

ومع أولى قصص القرآن الكريم؛ قصة هبوط ابونا من الجنة إلى الارض، ووسوسة الشيطان لهما، وتدخله في حياتهما، نقرأ هذه الآيات من الذكر الحكيم:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(١).

وردت هذه القصة ثلاث مرات في القرآن الكريم؛ في سورة البقرة مختصرة، وفصلت في سورة الاعراف، وذكرت ايضا في سورة طه. والذي يهمنا في هذا البحث هو وجود «حواء» في القصة إلى جانب زوجها آدم، وهي اصل «العنصر الإنساني» الذي جعله تعالى خليفته في أرضه.. وقد بوأها الله تعالى جنة الخلد إلى جانب «آدم» التي لا جوع فيها

١ - البقرة: ٣٥ - ٣٦.

ولا ضنى.

جاءت القصة تحكي عن وسوسة «ابليس» لهما فأقسم لهما وأغواهما
وغرهما بشجرة الخلد، فعصى آدم وحواء ربهما، فأكلا من الشجرة، فبدت
لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة، ثم استغفرا ربهما
فتاب عليهما، وكان جزاؤهما أن يهبطا إلى الأرض، وحذرهما وأبنائهما من
إغراءات ابليس واغواءاته...

هذه هي قصة أبونا إجمالاً.

قصة الاغواء:

وهي قصة الشجرة التي منع سبحانه وتعالى أن يقترب آدم وحواء
منها، ويمكن القول بأن هذه القصة هي اول «علاقة» بين الرجل والمرأة:

١ - ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا﴾^(١). بوأهما جنة الخلد معاً دون مفاضلة وأشركهما في نعيم الجنة
ورغيدها.

٢ - جاء التحذير لكليهما «آدم وحواء» من أن يقربا شجرة مميزة في
تلك الجنة، وإلاّ ظلما أنفسهما ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ فصدر أمر التكليف لكليهما.

٣ - ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ

١ - طه: ١٢٠.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم..... ٢٣

وَمَلِكٌ لَا يَنَالِي^(١). جاء الشيطان إلى آدم وأغراه بالشجرة المحرمة.

٤ - ثم: (فأكلا منها) بعد النهي عن الأكل.. فاشترك الرجل والمرأة في

العصيان، وكلاهما مسؤول عن مخالفة أمر الله تعالى (الم انهاكما)؟

٥ - الندم. والتوبة. والعقاب، اشترك به الرجل والمرأة معاً.

نلتفت هنا إلى موقع الشيطان من الغش والغدر، الذي ظهر كشخص

ثالث في القصة، لا كما توهمه البعض ان «حواء» هي السبب في هبوط آدم

من الجنة وإغرائها له في أن يأكل من شجرة الخلد!

جاء هذا المعنى في تاريخ الطبري باسناده عن وهب بن منبه قال:

«..لما اسكن الله آدم وزوجته الجنة، ونهاهما عن الشجرة .. أراد ابليس ان

يستزلهما فدخل في جوف الحية. فلما دخلت الجنة خرج من جوفها ابليس

فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء به إلى حواء، فقال:

انظري الى هذه الشجرة! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها! فأخذت

حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة: ما

أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها! فأكل منها آدم. فبدت لهما سواتهما،

فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم! أين أنت؟ قال: أنا هنا يارب!

قال ألا تخرج؟ قال استحي منك يارب. ثم قال ربه: يا حواء: أنت التي غررت

عبدى، فانك لا تحملين حملاً إلاّ حملتيه كرهاً، فاذا أردت أن تضعي ما في بطنك

اشرفت على الموت مراراً....».

إلى غير ذلك من الروايات الإسرائيلية التي تلقي اللوم على حواء!

١ - البقرة: ٣٥، الاعراف: ١٩-٢٠ طه: ١٢٠.

بل لماذا لا يكون آدم هو الذي أغرى حواء انطلاقاً من قوله تعالى:
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ ۖ﴾ وفي نفس السياق قال
تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾؟!

إذن وحسب سياق الآيات يكون آدم هو الذي عصى ربه الذي نهاه
ان يقترب من شجرة الخلد، فقد يكون هو الذي أغرى حواء (فاكلا منها..)
ثم تاب الله سبحانه على آدم وهداه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(١).
لا كما توهمه الاستاذ «عباس محمود العقاد» بأن المرأة مجبولة على
الاغواء والاغراء، حيث بدأ يشرح هذا المعنى بما يقارب الثلاثين صفحة!
ولابأس بذكر فقرة من قوله:

«وحب الاغراء على هذا النحو مفهوم بشروطيه أو بنقيضيه، مفهوم
على الموافقة وعلى المخالفة، لأن المرأة محكومة لاحتكم غيرها إلا من
طريق إغرائه، أو من طريق تنبيهه إلى ما هو «شهوي للنظر بهجة للعيون»
كما جاء في العهد القديم...»

ومضى يقول: «وكل خلق من اخلاق المرأة مرموز إليه في قصة
الشجرة، ومنها الولع بالمنوعات كما يولع بها كل محكوم مضطر إلى
الإتياع»^(٢).

١ - طه: ١٢٢.

٢ - المرأة في القرآن ص ٢٠.

أوقع «العقاد» اللوم على حواء فقط ووصف المرأة بالخداع والمكر، وأن هاتين الصفتين ملازمتان لها إلى غيرها من صفات الافتتان بالمنوعات، في الحين أننا نقرأ القرآن الكريم الذي يذكر أن كليهما - آدم وزوجه - ظلم نفسه بذنبه لأن الشيطان وسوس لهما معاً ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(١) و﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(٢) ﴿فَازَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾^(٣). فكلاهما وسوس لهما الشيطان وكلاهما طلب العفو والغفران: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)، فهما لم يعصيا الرب الكريم إلا بعد أن قاسمهما الشيطان ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٥). لانهما لم يعرفا معنى الكذب من قبل وخاصة بعد القسم بالله سبحانه وتعالى.

قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله. وقال ابن عباس: (فدلاهما بغرور) أي غرهما باليمين، وكان آدم يظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً^(٦).

١ - الاعراف: ٢٠.

٢ - الاعراف: ٢٢.

٣ - البقرة ٣٦.

٤ - الاعراف: ٢٣.

٥ - الاعراف ٢١.

٦ - تفسير الفخر الرازي / ٧: ٥٢، دار الفكر.

فكان عقابهما من الله الهبوط من الجنة. وكلاهما تحمل العقاب في المخالفة،
فليس لحواء إذاً أن تتحمل إثماً وإثم زوجها، وتدل هذه المسؤولية المشتركة بينهما
على تساوي مقام الرجل والمرأة في الثواب والعقاب. لما وهبَ الله لهما معاً: «العقل،
والادراك».

المبحث الثاني

الدفاع عن المرأة

وقف الشارع المقدس إلى جانب المرأة في شتى جوانب حياتها، لاعادة كرامتها، فنلاحظ أن الأحكام والقوانين المستنتة كلها تدافع عن المرأة حتى مسائل الطلاق وتعدد الزوجات كما سنمر عليه لاحقاً.

ومن ابرز معالم الدفاع هذه ما جاء من ذم وتقرير لمن استهان بالمرأة ومنعها حق الحياة، وهي مسألة دس البنات في التراب وكراهية ميلادهن فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١) وفي موقع آخر: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٢).

ذلك هو المجتمع الجاهلي الذي لا يرى البنت إلا عاراً وشناراً، وعلى البيت الذي ولدت فيه ان يتخلص من هذا العار بأي ثمن كان ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٣).

وفي موقع آخر أكد سبحانه وتعالى في التشديد على مرتكبي جريمة

١ - النحل: ٥٨.

٢ - الزخرف: ١٧.

٣ - الأنعام: ١٤٠.

قتل البنت حية، إذ قال بعد سياق رهيب في وصف يوم القيامة من طي الشمس وتساقط النجوم وإذا حشرت آنذاك الوحوش وسجرت البحار^(١)؛ يومئذ تسأل بأي ذنب قتلت وحرمت حق الحياة: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢) ثم يستمر وصف هذا المشهد المروع بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ﴾^(٣).

في أشد حالات تلك الواقعة التي ليس لوقعتها كاذبة، ذلك اليوم الذي تتشر فيه الصحف وينظر إلى اعمال الخلائق في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة. وقد قيل يُسئل الإنسان فيه عن الطين فيمن فته، فكيف بمرتكبي الذنوب الكبيرة دون توبة وإنابة؟

فأي جريمة هذه التي احتقرت الانوثة، احتقرت البنت الصغيرة لأنها انثى! وفي ذلك احتقار لنصف المجتمع! (الا ساء ما يحكمون).

قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى (الا ساء ما يحكمون) وذلك لأنهم بلغوا في الاستنكاف من البنت إلى اعظم الغايات، فأولها: انه يسود وجهه، وثانيها: انه يحتفي عن القوم من شدة تنفره من البنت، وثالثها: أن الولد محبوب بحسب الطبيعة، ثم إنه بسبب شدة تنفره عنها يقدم على قتلها، وذلك يدل على ان النفرة عن البنت والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغاً لا يُزاد عليه^(٤).

١ - أي أوقدت فصارت ناراً. انظر التفسير المعين للشيخ محمد هويدي: ص ٥٨٦ دار البلاغة.

٢ - التكوير ٨ - ٩.

٣ - التكوير: ١٠ - ١٤.

٤ - تفسير الفخر الرازي ١٠: ص ٥٨.

معنى الواد وتاريخه عند المفسرين:

الواد لغة: هو مواراة الوليدة في التراب حية.

وفي الصحاح؛ وأد ابنته يئدها وأدأ: دفنها في القبر حية.

قال المفسرون: كان الرجل من الجاهلية إذا ولدت له بنت دفنها حين تضعها والدتها حية مخافة العار والحاجة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ..﴾ أي إن الواد غالباً ما يكون في حال المجاعة.

وفي حديث العزل: «ذلك الوادُ الخفيُّ» وفي حديث آخر: «المؤودة الصغرى» جعل العزل عن المرأة بمنزلة الواد إلا أنه خفي لأن من يعزل عن امرأته يعزل هرباً من الولد، ولذلك سماها المؤودة الصغرى لأن وأد البنات وهن على قيد الحياة المؤودة الكبرى^(١).

قال الفرزدق:

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَاتِ وَأَحْيَى الْوَيْدَ فَلَمْ يُوَادِّ^(٢)

وعن الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) وأد يئد مقلوب من أديئو دأ ودأ ثقل، قال تعالى (ولا يؤده حفظهما) أي ينقله، لانه إئقال بالتراب. كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد

١ - انظر لسان العرب، ابن منظور ح ١٥ ص ١٩٠، مادة (وَأَد). دار احياء التراث العربي - بيروت -

٢ - كتاب العين للخليل احمد الفراهيدي ٣: ١٩١٧. مادة (وَأَد) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي. تصحيح اسعد الطيب. ط ١، ١٤١٤هـ.

بقاء حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر لترعى له الابل والغنم في البادية، وإذا أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار فيقول لأُمها طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أقاربها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها إلى البئر فيقول انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض. وقيل كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابناً أمسكته^(١).

قيل لما وفد عاصم على رسول الله ﷺ سأله بعض الأنصار عما يتحدث به في المؤودات فأخبره أنه ما ولدت له بنت إلا وأدها، قال كنت أخاف العار، وما رحمت منهن إلا بنية كانت ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها إلى أخوالها، وقدمت أنا من سفري فسألتها عن الحمل فأخبرت انها ولدت ولداً ميتاً وكنمت حالها حتى مضت على ذلك سنون وكبرت الصبية وينعت فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها وقد ظفرت شعرها وجعلت في قرونها جداداً ونضمت عليه ودعاً وألبستها قلادة من جزع، فقلت لها من هذه الصبية وقد أعجبني جمالها فبكت امها، وقالت هذه ابنتك. فأمسكت عنها حتى غفلت امها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت حفرة وجعلتها فيها، وهي تقول يا أبت ما تصنع؟ أخبرني بحقك، وجعلت اقلب عليها التراب، وهي تقول يا أبت انت مغط عليّ بهذا التراب أنت تاركي وحدي

١ - تفسير الفخر الرازي ١٦: ص ٧٠ - ٧١، وانظر الجزء العاشر ص ٥٨ - ٥٩.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم..... ٣١

ومنصرف عني!! وجعلت اقرف عليها حتى واريثها، وانقطع صوتها، فتلك حسرتها في قلبي، فدمعت عينا رسول الله، وقال: «إنّ هذه لقسوة، من لا يرحم لا يرحم»^(١).

وعاشت المرأة في تلك المجتمعات الجاهلية - التي تحمل بين طياتها نظام قبلي فوضوي - أشد حالات العنف والتعسف

عاشت في مجتمع جاهلي لا يعرف غير قانون الغاب وما كان على تلك المرأة المهضومة إلا أن تعيش خاضعة مطيعة، وساد في ذلك المجتمع أيضاً قضايا اجتماعية أخرى غير قضية تفضيل الذكور على الاناث سنمر عليها لاحقاً.

وعلى الرغم من هذه الحالات المأساوية التي عاشتها المرأة في وسط يعث بالجهل والظلم إلا أن هناك حالة مغايرة تماماً وإن كانت لا تخرج من حد التعسف؛ وهي قضية تقديس الانثى إلى حد الإفراط، بحيث ان بعضهم كان يسمي الملائكة تسمية الانثى وإن الملائكة بنات الله جل وعلا عما يصفون، وجاء الفاصل بين حالي الافراط والتفريط بين طور الوأد وقصة التقديس. ففصل بين الجانبين وخاطبهم في اسلوب يلهب المشاعر. آيات مباركة عدة تعرض تلك الحالات المضطربة:

١ - منها قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ

^١ - نفحة اليمن فيها يزول بذكره الشجن للشرواني ص ٦٧ - ٦٨ ط ١.

إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١﴾.

فالمراد بالاناث هو الاوثان، وكانوا يسمونها باسم الاناث كقولهم:
اللات، والعزى، ومناة..

وعن الحسن البصري قال: لم يكن حي من أحياء العرب إلاّ ولهم
صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان.

والمراد من قوله تعالى: (إِلَّا اناثاً) أي إلاّ امواتاً، لأن الانثى أخس من
الذكر والميت أخس من الحي فلهذه المناسبة اطلقوا اسم الانثى على
الجمادات الموات. وقول آخر: ان بعضهم كان يعبد الملائكة وكانوا يقولون،
الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ
الْأُنثَى﴾ (٢) فهل هناك اجهل ممن اشرك خالق السموات والأرض جماداً
يسميه بالانثى!

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾.

قال المفسرون: كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطانٌ يتراءى
للسدنة يكلمهم. وقيل المراد بالشيطان هنا ابليس (٣).

وهذه من أسباب احتقار ذلك المجتمع الجاهلي للمرأة، لان المرأة وكما

١ - النساء: ١٧١.

٢ - الإسراء: ٢٧.

٣ - انظر تفسير الرازي ٦: ص ٤٦ - ٤٧.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم..... ٣٣

رأينا دون الرجل في القيمة الإنسانية.

٢ - وقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾^(١)، فالله سبحانه وتعالى لما نبّه على فساد طريقة من اثبت لله شريكاً ونظيراً، نبه على طريقة من اثبت له الولد وعلى كمال جهل هذه الفرقة، وهي انهم اعتقدوا ان الولد قسمان: فأشرف القسمين البنون، وأخسّها البنات^(٢)، ثم انهم اثبتوا البنين لانفسهم وجعلوا البنات لله، أي انهم جعلوا اشرف القسمين لهم واخسها لله سبحانه وتعالى.

٣ - وقوله تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾^(٣).

كل هذه الآيات تبين نبذ المرأة في ذلك المجتمع المتدني وتفضيل الذكر عليها، بحيث لو سلمت من الوأد والقتل لا تسلم من هذه المنزلة الوضيعة التي تجعلها دون الذكورة حتى في الحقوق والواجبات. والقرآن الكريم حينما انصف المرأة فهو لا ينقص من شأن الرجل، ولا ينال من قيمته وان اكرم الرجل فهو لا يُقر إهانة للمرأة ولا يسمح باستضعافها ولا بالاستعلاء عليها^(٤).

١ - الإسراء: ٤٠.

٢ - تفسير الرازي ١٠: ٢١٧.

٣ - النجم: ٢١.

٤ - انظر: المرأة من خلال الآيات القرآنية: عصمت الدين كركر: ١٣٥.

وحقن نكون منصفين نقول ان هذه الحالات لم تكن قاعدة عامة عند جميع اسر عصر الجاهلية الأولى وحتى الثانية - التي عاصرت مجيء الإسلام - بل كان هناك من يحترم المرأة ويحرص على صيانتها بل ويعتز بها. وكان رجال من أكابر القوم ينتسبون إلى الامهات، وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: «أنا ابن العواتك من سليم»^(١).

١ - رجال ونساء انزل الله فيهم قرآناً، عبد الرحمن عميرة ٣: ١٠ عن الطبراني.

المبحث الثالث

تكريمه سبحانه للمرأة «وضرب لها مثلاً»

لن تحضى امرأة في أي عهد من عهود البشرية، بما حظيت به المرأة في ظل الدين المحمدي من تكريم الله عز وجل إياها وفي ما أوجبه لها من حقوق وواجبات، فقد جعل سبحانه وتعالى لكل واحدة منهن سواء كانت أمّاً أو زوجة أو اختاً أو بنتاً حقاً، وأعد ثواباً جزيلاً لمن أدى حقوقهن غير منقوصة.

١ - حث الإسلام على برّ الوالدين واکرامهما، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة نقرأها في موضوع «المرأة أمّاً».

٢ - الحقوق التي فرضها الله على المؤمنين ازاء المؤمنات، في حماية المرأة المؤمنة من الكفار، ووجه هذا الأمر إلى رسول الله بامتحان قلوبهن بأن يؤمنن بالله وبرسوله ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بفاحشة وهتان يفترينه... عندها تكون حمايتها واجبة على المؤمنين بعدم رجوعها إلى الكفار، اضافة إلى أداء كل الحقوق الخاصة بها.

٣ - اوجب على الرجل حقوق زوجية سواء قبل الاقتران بها من مهر وصدق، أو بعد الاقتران، روي عن ابن داود باسناده عن حكيم بن معاوية

القشيري عن أبيه قال قلت: يا رسول الله ما حقّ زوجة احدنا عليه؟ قال قلت: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلاّ في البيت»^(١).

إلى غيرها من الحقوق الزوجية التي سنمر عليها في الموضوع الخاص بالزواج.
٤ - دافع سبحانه وتعالى عن البنت كما مرّ سابقاً، وذكر الأخت في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها ما جاء في ذكر بنات شعيب التي ميّز ذكرهن بالحياء والعفة والطهارة.

وقصة اخت موسى التي كانت عاطفتها تصل إلى درجة قريبة من عاطفة الام. فقد جازفت بحياتها من اجل ان يطمئن قلبها على اخيها ولم يهمل القرآن الكريم هذه العاطفة الحنونة والشجاعة العظيمة وهي تتخطى قصر فرعون فجازفت وارجعت الوليد إلى احضان امه بعد ان كادت لتبدي به لولا ان ربط الله على قلبها:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لَأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(٢).

وقدر الشرع هذه العاطفة حق قدرها (فجعلها سبباً في التوارث داخل

١ - كتاب النكاح ح ٦/ ب ٤٢ حديث ٢١٤٢ ص ١٢٧.

٢ - القصص : ١٠- ١٢، وانظر سورة : طه ٤٠.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم..... ٣٧

العائلة، وضرب بها المثل في حسن التعامل فكان من ذلك اعتبار الأخوة الدينية وجعلها تقوم مقام اخوة النسب والقراية في التوادد^(١).

المرأة في المثل القرآني

عرض القرآن الكريم مجموعة قصص للعبارة والإيعاض، وهذه المجموعة القصصية مختصة بالمرأة بأحاسيسها وخلجاتها وعلاقاتها، ولعل أبرز هذه المعالم هو صفة الحياء والطهارة إلى جانب الخيانة والمكر في صفتين متعارضتين.

والقصة هي لون من ألوان التعبير التي عرضها سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ليلقي من خلالها الضوء على النفس البشرية عبر مسيرتها الحياتية حقاً كان أم باطلاً لتكون بذلك وسيلة من وسائل التربية والهداية أو الموعظة والتذكير، فقال سبحانه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

ومع كل قصة تبرز المرأة عنصراً أصيلاً من عناصر هذا القصص حيث تأخذ مكانها فيه كإنسان وكأمرأة معاً. فنرى مثلاً حكمة ملكة سبأ ومشورتها لقومها وبذلك كانت تمثل الحكم والقيادة معاً ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ فهي تشاور كبار قومها وتنتظر

١ - المرأة من خلال الآيات القرآنية، عصمت الدين كركر: ١٥٢.

رأيهم في اتخاذ القرار.

وفي سرد القصص القرآنية التي تذكر فيها المرأة ومواقفها أنها تكشف العوامل النفسية والبيئية التي تعيش فيها كما في ملكة سبأ وكما في امرأة فرعون التي كانت تتحكم فيها عاطفة الامومة التي صاحبت في جنود فرعون لا تقتلوا موسى، ذلك التبرير الذي قد يجد موقعه في قلب فرعون (نتخذها ولداً). وغير ذلك من القصص التي سنمر عليها.

مثلاً للذين آمنوا:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾^(١).

كرم الله عز اسمه امرأة فرعون (آسيا بنت مزاحم) ووعداها بالجنة وقدمها كنموذج من نماذج صمود الايمان امام الكفر حيث لم تتأثر بزوجها المتعالي، وكانت امرأة سالحة مؤمنة.

قيل أنها لما عاينت المعجز من عصا موسى وغلبته السحرة أسلمت فلما ظهر لفرعون ايمانها نهاها، فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة اوتاد والقاها في الشمس ثم أمر أن تلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب اجلها

١ - التحريم: ١١ - ١٢.

﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فرفعها الله تعالى إلى الجنة^(١).

ولا يخفى ان ذلك كله دلالة على قوة وصلابة إيمانها بالله عز وجل.

فذكرها الله تعالى في القرآن الكريم إلى جانب «مريم» التي كانت من الدائميين على طاعة الله سبحانه وتعالى فوهب لها عيسى نبياً واصطفها على نساء العالمين واصبحت آية للعالمين. كما كرم آسيا بالنبي «موسى» فاتخذته ولداً لها. وفي حديث عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: اسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»^(٢).

ويدخل ضمن هذا القسم قصة «بنات شعيب» التي نعتهن سبحانه بالحياء، وطبيعة الحياء هذه من ابرز طبائع المرأة المسلمة وأجلها.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾^(٣).

وفي سورة النمل ذكر سبحانه وتعالى بلقيس «ملكة سبأ» التي كانت امرأة حكيمة واسلمت طائعة مع سليمان، فقد كانت ذات عقل وبعد واسع

١ - مجمع البيان ١٠: ٤٧٩.

٢ - المصدر السابق ١٠: ٤٨٠.

٣ - القصص: ٢٣ - ٢٥.

٤٠.....المرأة في القرآن الكريم

ينم عن شخصيتها القوية، ولم يغرها ملكها ولا إطاعة قومها وخضوعهم لها، ولم تترك مشورتهم في الرسالة التي بعثها لها النبي سليمان بيد طائره الهدهد. فأرجعوا الأمر إليها لأنها الحكيمة البعيدة عن الطيش والتكبر ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾^(١).

لم يأخذها الغرور وطيش بعض الساسة، فنظرت بتأمل، ثم قالت لهم: (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون). وبعد ان تأكدت من نبوة سليمان قررت طرح وثنيها الأولى والدخول في الدين الجديد قائلة: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فهل خاب قوم ولّوا أمرهم امرأة من هذا الصنف النفيس؟
ان هذه المرأة اشرف من الرجل الذي دعتة ثمود لقتل الناقة ومراغمة نبيهم صالح ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾^(٢).
وفي ذكر هذه الشخصيات المؤمنة دلالة على الاعتناء الإلهي بالمرأة المؤمنة وعرض احداث ايمانهم كي يكون أسوة حسنة وعبرة لمن اعتبر سواء للرجال او للنساء، فسبحانه لم يقل وضرب الله مثلا للمؤمنات بل اشرك مع المؤمنات المؤمنين كي يصلح ان يكون قدوة للمجتمع كله.

١ - النمل: ٣٢ - ٣٣.

٢ - القمر: ٢٩ - ٣١ انظر السنة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث محمد الغزالي: ٥٨، دار الشروق ط ١/ ١٩٩٦م.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم..... ٤١

«وضرب الله مثلاً للذين آمنوا» صدق الله العظيم

فلو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لأسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهِلالِ

ومثلاً للذين كفروا

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةً نُّوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٢)، في الحديث عن امرأة لوط التي كانت امرأة طالحة تحت عبد صالح، وكانت تساند قومها على الفاحشة فحادت عن الحق وكذا امرأة نوح، فتوعدهما ربهما بسوء العاقبة والخلود في النار لخيانتهما زوجيهما!
عن ابن عباس قال: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن بنوح أحد، أخبرت الجبابة من قوم نوح به. وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه، فكان ذلك خيانتهم وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهم بالدين^(٣).

فلاحظ ان من جملة المقارنات القرآنية؛ ان ملكة سبأ التي كانت من

١ - التحريم: ١٠.

٢ - النمل: ٥٧ وانظر العنكبوت: ٣٢ - ٣٣، والحجر: ٦٠، والشعراء: ١٧١.

٣ - مجمع البيان ١٠: ٤٧٩.

٤٢.....المرأة في القرآن الكريم

قوم يعبدون الشمس قادتهم إلى قوم يعبدون الله سبحانه بكل ما تملك من حكمة وعقل في مقابل هذه القصة نقرأ قصة مغايرة وهي قصة امرأتى لوط ونوح اللتين كانتا تحت عبيدين صالحين فخانتاهما. وكذا قال سبحانه وتعالى بشأن امرأة ابي لهب ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(١).

تلك ساعدت زوجها الشرير على معاداة رسول الله محمد المصطفى ﷺ فكانت تسانده على إيذائه بوضع الاشواك في طريق المسلمين وكان عقابهما نار جهنم ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

وهناك آيات قرآنية عدة ذمت بعض النساء ووصفتهم بالكيد والمكر، ولعل ابرز هذه الصفات نقرأها في قصة امرأة العزيز التي خانت زوجها، براودة فتاها، ولما رآته استعصم ولم تبلغ غايتها انتقمت منه بكل ما تملك من الحيل والمكر ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾^(٢).

فهذه المرأة تختلف تماما عن النساء المؤمنات اللاتي استعملن عقولهن وادراكهن في سير الأمور وعواقبها، حيث طغت عليها صبغة العاطفة وجرتها إلى مهاوي الرذيلة الحمقاء. تلك العزيزة التي اذا لم يربط الإنسان زمامها تحكمه من حيث يشعر او لا يشعر، ولذا ورد في قول مأثور: «نفسك التي بين جنبيك إن لم تشغلها أشغلتك».

١ - المسد: ٤ - ٥.

٢ - يوسف: ٢٨.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم.....٤٣

وليس معنى هذا أن صفة «الكيد والمكر» من خصائص النساء - كما يتوهمه البعض - بل قد تشمل الرجال ايضاً كما ذكر ذلك سبحانه وتعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾^(١)، فهذه الظواهر الاخلاقية من كيد ومكر وخيانة وكفر تمر على كل انسان وتجعله اما سائقاً او مسوقاً.

فتحكيم العقل ينجينا من الوقوع في مهاوي الرذيلة، وإلاّ فالاهواء هي التي تسيطر علينا وتسوقنا إلى ما لاتحمد عقباه.

بقيت نقطة مهمة أحببنا ان ننوه عليها ولو مختصراً؛ وهي ان هذه القصة مع مقارنتها مع قصة «بنات شعيب» اللاتي طغت عليهن صبغة الحياء، نستطيع ان نلمس الفرق في آثار وعواقب القصتين ونختار ايهما افضل في حياة سعيدة وهائنة (صفة الحياء ام صفة الكيد والخيانة) وأي الحالتين اللتين حافظت على كرامة المرأة وعفتها كي تكون محترمة على صعيد المجتمع كافة؟!

لا كما فعلت «ريطة الحمقاء»^(٢)، التي حذر سبحانه من ان تحبط اعمالنا لو فعلنا كما فعلت، التي فقدت كل من لها في الحياة وعاشت تعاني الوحدة والعزلة، حيث كانت تخرج كل صباح لتبتاع كمية من الصوف

^١ - يوسف: ٥.

^٢ - www.amrkhaled.com

وتسرع لفتيات الحي الذي تقطنه تطلب منهن مساعدتها في الغزل. وتجلس الفتيات وهي وسطهن، وفي يد كل واحدة مغزل، ويأخذن في الغزل بهمة ونشاط حتى إذا فرغن دفعت اليهن اجورهن واخذت الغزل تنفضه وتمزقه في جنون. تظن ان الدنيا حطمت حياتها ولا بد ان تحطم هي كل شيء.

لذا نجد ان القرآن الكريم يحذر العباد من ان يبطلوا اعمالهم ويبددوا طاقة جهدهم، كريمة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾^(١).

وقد وردت أيضاً قصة «مسيكة التائبة»^(٢) التي كانت جارية لعبد الله بن أبي سلول - رأس النفاق في المدينة - فأسلمت وبايعت النبي وقد تأمر ابن سلول على غوايتها.. فانزل الله تعالى حكمه فيها وقبل توبتها: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...﴾^(٣).

وفي قصة «أم كجة»^(٤) التي جعلها الله تعالى اول من استفاد من نظام المواريث في الإسلام. فقد استشهد زوجها وترك لها ميراثاً يفي بحاجتها وحاجة اولادها. ولكن أخاه استولى على ميراثها، ولم ينفع معه حيلة... ولم

١ - النحل: ٩٢.

٢ - انظر القصة في: www.asvapcod.com - www.stop.com

٣ - سورة النور: ٣٣.

٤ - أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم.....٤٥

يكن امام «أم كجة» إلا أن تشكوه إلى رسول الله ﷺ فانزل الله حكمه:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(١).

وما ان فرض نظام الميراث في الإسلام حتى استفادت النساء من عدله

ورحمته، بعد أن كان الجاهلون لا يورثون النساء ولا الضعفاء من الرجال.

وهذا هو شأن القرآن الكريم يعرض قصص ومقارنات للتعاض

والعبرة، وهي واحدة من أهم سبل الهداية.

الفصل الثاني

حقوق المرأة وواجباتها

ويقع في مبحثين؛ الأول يبحث عن الحقوق المشتركة بين الرجل والمرأة والمساواة في الجزاء والعطاء. والمبحث الثاني يقع في الحقوق الخاصة بالمرأة.

المبحث الأول

الحقوق المشتركة

المساواة بين الرجل والمرأة:

من خلال فرض الحقوق المشتركة بين المرأة والرجل وفيها دلالة على المنزلة الواحدة لا يتميز بها جنس على آخر، لذا يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

وعن رسول الله ﷺ قال: «النساء شقائق الرجال»، في ظل الحقوق المشتركة بين الرجل والمرأة، فالإسلام ساوى بينهما في شؤون الحياة والإدارة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فالمرأة صنو الرجل ونصف المجتمع.

وعند قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ..﴾^(٣).

١ - النحل: ٩٧.

٢ - غافر: ٤٠.

٣ - آل عمران: ١٩٥.

٥٠.....المرأة في القرآن الكريم

قال الفخر الرازي في تفسيره: وأما قوله تعالى ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى﴾ ، فالمعنى: أنه لا تفاوت في الإجابة وفي الثواب بين الذكر والانثى إذا كانا جميعاً في التمسك بالطاعة على حدٍّ سواء، وهذا يدل على أن الفضل في باب الدين بالأعمال، لا بسائر صفات العاملين، لأن كون بعضهم ذكراً أو أنثى، أو من نسب خسيس أو شريف لا تأثير له في الباب، ومثله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ روي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء؛ فأنزل الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى..﴾^(١).

وقال الطبري في تفسير هذه الآية: أي بأني لا أبطل (عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) رجلاً أو امرأة ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ في النصرة والدين والموالات، فحكمي في جميعكم حكم واحد فلا اضيع عمل عامل منكم لاتفاقكم في صفة الايمان^(٢).

(ثم ان اشتراك الرجال والنساء في اصول المواهب الوجودية (الفكر والإرادة) المولدين للاختيار يستدعي اشتراكها مع الرجل في حرية الفكر والإرادة (الاختيار) فلها الاستقلال بالتصرف في جميع شؤون حياتها الفردية والاجتماعية، عدا ما منعه عنه مانع، وقد اعطاها الإسلام هذا الإستقلال

١ - أنظر: تفسير الفخر الرازي ٥: ١٥٧، وأسباب النزول للسيوطي: ٧٦، وأسباب النزول للواحيدي: ٩٨.

٢ - مجمع البيان ٢ / ٩١٤.

والحرية على اتم الوجوه..

فصارت بنعمة الله سبحانه، مستقلة بنفسها، منفكة الارادة والعمل عن الرجال وولايتهم وقيمومتهم، واجدة لما لم يسمح لها به الدنيا في جميع أدوارها وخلت عنه صحائف التاريخ وجودها، قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١).

والإسلام قرر للمرأة خصلتين ميزها بها الوضع الالهي:^(٢)

إحداهما: أنها بمنزلة الحرث في تكون النوع ونمائه، فعليها يعتمد النوع في بقاءه، تختص من الأحكام بمثل ما يختص به الحرث، وتمتاز بذلك عن الرجل. والثانية: أن وجودها مبني على لطافة البنية ورقة الشعور، وهذا ما له تأثير في احوالها والوظائف الاجتماعية المحولة اليها.

فهذا وزنها الاجتماعي، وبذلك يظهر وزن الرجل في المجتمع، وإليه تنحل جميع الأحكام المشتركة بينهما وما يختص به أحدهما عن الآخر في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣) يريد ان الاعمال التي يهديها كل من الفريقين إلى

١ - انظر: تفسير الميزان ٢: ٢٧٨، والآية من سورة البقرة: ٢٣٤.

٢ - انظر الميزان ٢: ٢٧٥ - ٢٧٦.

٣ - النساء: ٣٢.

المجتمع هي الملاك لما اختص به من الفضل، وأن من هذا الفضل ما تعين لحوقه بالبعض دون البعض كفضل الرجل على المرأة في سهم الارث، وفضل المرأة على الرجل في وضع النفقة عنها، فلا ينبغي ان يتمناه متمنٍ، ومنه ما لم يتعين الا بعمل العامل كائناً من كان كفضل الايمان والعلم والعقل والتقوى وسائر الفضائل التي يستحسنها الدين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واسألوا الله من فضله.

هذه احدى الحالات التي تشارك المرأة فيها الرجل فضلاً عن بعض الأحكام الأخرى التي يشتركان فيها كالعبادات من حيث انهما متساويان في الإسلام والايمان أي في الدين، والصبر، والصدق، والجهد، والصدقة، والزكاة، والصوم، والتقوى، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وفي النصرة والمولاة واشتراكهم في الأوامر والنواهي قال عز وجل:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴿١﴾.

إنّ للمؤمن والمؤمنة حق الولاية والرقابة المتساوية لبعضهم على بعض، وهو ما يطلق عليه علماء الاجتماع بـ «الرقابة الاجتماعية» أي ان لكل فرد بموجب هذه الوظيفة ان يراقب اعمال الآخر الحسنة والسيئة لكيلا تنتقض معايير المجتمع الإسلامي وأصوله.

وكذلك كلا الجنسين مأموران بأداء الصلاة، وهما معاً مكلفان بدفع الزكاة كدليل على الاستقلالية المالية، وكلاهما موظفان مكلفان باطاعة الرسول كدليل (على كون كل منهما عضواً رسمياً في المجتمع السياسي والاداري) وكلاهما ينالان عفو الله ورحمته على قدم المساواة^(٢).

في مقابل ذلك فقد اعد الله نار جهنم للظالمين والظالمات، والمفسدين والمفسدات، والمنافقين والمنافقات، جزاء عصيانهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

١ - التوبة: ٧١.

٢ - انظر: حقوق الإنسان في الإسلام. مصدر سابق ص ٣٧٨ وما بعدها.

٣ - التوبة: ٦٧ - ٦٨، وانظر سورة الفتح: ٦.

وَاحِدَةً وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا^(١).

تتكشف لنا عدة حقائق تدرج ضمن قائمة المساواة بين الجنسين لان هذا الخطاب موجه إلى الناس اجمع أي الرجال والنساء على حد سواء فكلاهما متساويان وكلاهما مأمور بالتقوى والعبادة بعبارة اخرى ان كليهما مستعد لبلوغ الكمال المعنوي والروحي مما يؤكد نضج المرأة عقلياً لان «العقل شرط من شروط التكليف» كذلك ان كليهما مخلوق من نفس واحدة أي مبدئ واحد لكلا الجنسين فالمرأة إذن ليست فرعاً او ضلعاً كما يذهب اليه البعض! إذ جاء ايضا في حديث شريف « انما النساء شقائق الرجال» وهذا دليل آخر على تساوي المرأة والرجل في الشرف والمنزلة والعبادة والمبدأ والإنسانية.

ومن المسلم به أن بعض الآيات القرآنية يشترك بها الرجل والمرأة من أمثال (يا أيها الذين آمنوا).

ونلاحظ أن هناك إثنين وخمسين آية يقع الخطاب بها بصريح اللفظ تذكيراً وتأنيثاً، مما جعل التساوي بين الذكر والانثى أمراً مسلماً به لا وراء فيه، ويمكن ان يتخذ ذلك دليلاً على عدم تفضيل احد الجنسين على الاخر، من حيث القيمة الإنسانية، إذ لا مجال للمفاضلة في ميدان التكلف وفي ميدان الحقوق والجزاء^(٢).

١ - النساء: ١.

٢ - المرأة من خلال الآيات القرآنية، عصمت الدين كركر: ١٦٥-١٦٦. عن ابن عاشور محمد طاهر: اصول النظام الاجتماعي: ٩٨.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٥٥

لا كما يدعيه مناصرو المرأة اليوم! من ان الإسلام يحرم المرأة من الحرية الكاملة ويفرق بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، وان الإسلام يعتمد على أساس المفاضلة، يفضل الذكر على الأنثى انطلاقاً من القضايا والأحكام التي اوجبها للرجل من امثال القضاء والشهادة والميراث والطلاق ايضاً. واخيراً قيدها بالحجاب الذي كان بمثابة قيد للمرأة وسجناً لها.. متناسياً ان ذلك شرف لها وحفاظاً من جرائم المجتمع.

وتنامت هذه الاعتقادات الباطلة امام كم هائل من الأحكام والآيات القرآنية التي صرحت بعدم المفاضلة بين الجنسين، وانما كان اصل المفاضلة التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

ثم لا مفاضلة في الحقوق والواجبات والجزاء، فلها ما للرجال، وعليها ما عليهم بالمعروف بل حتى قوامة الرجل على المرأة شرعت من أجل حماية المرأة وصيانتها ف ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢) وغيرها من الآيات.

غير ان هذا العدد الكبير الذي تجاوز الخمسين آية لا يمكن بحال تتبع جزئياته بل يمكن ان يخصص له تأليف مثلما خصص بعض الكتاب والمؤلفين كتباً لأحكام القرآن او كتباً لقصصه^(٣).

١ - الحجرات: ١٣.

٢ - التوبة: ٧١.

٣ - عصمت الدين كركر مصدر سابق / ١٦٧.

وهناك آيات أخرى ذكرت ان لا تفاضل بين المرأة والرجل في أصل الخلقة، وان الاختلاف في الهيكل العام لا يدعو للتفاضل وانما هي عوامل تكامل للأصل البشري ليؤدي كل منهما وظيفته حسب ما تقتضيه المصلحة.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾^(١).
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾^(٢).

بمعنى ان كلا الجنسين خلق من نطفة من منى يمنى، وكلاهما انحدر من أب وأم بل وكلاهما خلق من طين لازب، وكلاهما ينالان الجزاء نفسه. والجزاء يكون من جنس العمل لا على أساس المفاضلة والمحابة ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).

وغير ذلك من الآيات التي لا يتسع لها بحث كهذا، ويمكن حصر الآيات التي دعت إلى التسوية بين الرجال والنساء في الجزاء، والأحكام والاخلاق الاجتماعية بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ إِنْسَانٌ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ

١ - النجم: ٤٥ - ٤٦.

٢ - الليل: ٣ - ٤.

٣ - غافر: ٤٠.

الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا^(١).

٢ - وفي اشتراكهما في الأحكام الخاصة والعامة قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(٢).

وآخر الآية اختصت بالاخلاق الاجتماعية السامية في افشاء السلام بين المؤمنين.

٣ - وفي التسوية في الحقوق: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(٣).

وجاء في سبب نزول هذه الآية عدة اقوال منها: عن أم سلمة انها قالت: يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لها نصف الميراث، فانزل الله الآية وانزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ^(٤).

١ - الإسراء: ١٣، وانظر الآية ١٤.

٢ - النور: ٦١.

٣ - النساء: ٣٢.

٤ - لباب القول للسيوطي: ٨١.

وقال قتادة والسدي: لما نزل قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ قال الرجال: إنا لنرجوا أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء، وقالت النساء: إنا لنرجوا أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا، فانزل الله تعالى الآية^(١) وإلى غيرها من الأقوال^(٢) ومررنا سابقاً التفسير المفصل لهذه الآيات المباركات.

٤ - وفي الدفاع عن المؤمنين والمؤمنات قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٣). وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٤).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٥).

٥ - وذكر الله سبحانه وتعالى الاسرة الصالحة والمؤمنة والذرية الطيبة في عدة آيات مباركات منها:

- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾^(٦).

١ - أسباب النزول للواحي: ١٠٥.

٢ - انظر تفسير الفخر الرازي م ٥: ج ١٠، ص ٨٥.

٣ - الأحزاب: ٥٨.

٤ - محمد: ١٩.

٥ - التوبة: ٧٢.

٦ - الطور: ٢١.

- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ﴾^(١).

- ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾^(٢).

- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَوِّنُونَ﴾^(٣).

قال العلامة الطباطبائي: «هم، أي أصحاب الجنة وأزواجهم من حلائلهم المؤمنات في الدنيا، أو من الحور العين»^(٤).

وتحذير للأسرة الصالحة من الطالح فيها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

٦ - والإسلام دين واقعي يعطي نصائح لكل من الذكر والانثى

الذين لا يجدون نكاحاً، ويحذر المؤمنين والمؤمنات من زواج السوء نقرأ معاً هذه الآيات المباركات:

﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْذِرَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٦).

١ - الزخرف: ٦٩ - ٧٠.

٢ - الرعد: ٢٣.

٣ - يس: ٥٥ - ٥٦.

٤ - تفسير الميزان ح ٧: ١٠١.

٥ - التغابن: ١٤.

٦ - النور: ٣٣.

٦٠.....المرأة في القرآن الكريم

﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا مَـمَّةً مُؤْمِنَةً حَتَّى تُشْرِكَهُنَّ وَلَا تُعْجِبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ﴾^(٢).

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٤).

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٥).

٧ - وأخيراً نقف مع آيات العقاب والثواب والمغفرة والرضوان فقال

تعالى:

١ - النساء: ٢٥.

٢ - البقرة: ٢٢١.

٣ - النور: ٣.

٤ - النساء: ٢٢.

٥ - النور: ٢٦.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾^(١).

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢).

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(٤).

﴿وَيُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾^(٥).

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٦).

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ

١ - الزخرف: ٧٠.

٢ - الفتح: ٥.

٣ - الحديد: ١٢.

٤ - التوبة: ٦٨.

٥ - الفتح: ٦.

٦ - الأحزاب: ٧٣.

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ^(١).
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾^(٢).

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَّهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾^(٤).

آمين يا رب العالمين.

١ - الحديد: ١٣.

٢ - البروج: ١٠.

٣ - التوبة: ٦٧.

٤ - الأحزاب: ٦٨.

المبحث الثاني الحقوق الخاصة بالمرأة

نبحث في هذا القسم؛ موضوعين هامين جداً في حياة المرأة المسلمة وهما:

أولاً: المرأة أماً.

ثانياً: المرأة زوجاً.

ويمكن أن نعتبر هذين الموضوعين الحساسين من أهم المراحل في حياة المرأة. وقدّمنا موضوع «المرأة أماً» لما فيه دلالة كبيرة على مكانة الأم وحقوقها في الإسلام، والتي تلعب دوراً رئيساً في بث الحياة والحركة على أرجاء المعمورة وبناء الأجيال، ثم نبحث بشكل أكثر تفصيلاً عن الزواج في الإسلام.

أولاً: المرأة أماً.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ

٦٤.....المرأة في القرآن الكريم

الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا ﴿١﴾.

أول نقطة ضوء نستطيع ان نلمسها في هذه الآية الكريمة هي أنه سبحانه وتعالى قرن طاعته بطاعة الوالدين لما لهما من فضل كبير على الابناء وهذا من أهم أهداف الآية المباركة في رعاية الوالدين، وخاصة في العناية الكلامية من تبجيل وتكليل فلا تصدر منا كلمة «أف» الدالة على الانزعاج والتبرم ولاننهروهما بالكلام ككلام بعضنا لبعض، بل امرنا تعالى بالاحترام الواسع بحيث نتذل لهما ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

وفي آية مباركة اخرى نجد ان سبحانه وتعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢﴾.

تقديراً لجهودهما واتعابهما وهما ينسجان خيوط الليل لنرتديها عند الصباح، وفي عنايتهما الفاتقة بنا، وخاصة انه تعالى ذكر الوالدين بالوصية ثم خصص به «الأم» وذكر أتعابها أثناء الحمل ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا..﴾ ﴿٣﴾.

١ - الإسراء: ٢٣.

٢ - لقمان: ١٤.

٣ - الاحقاف: ١٥.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٦٥

ثم ذكر سبحانه وتعالى اطوار الحمل وتكوين الجنين: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾^(١).

ولولا ما ركب في الانثى من مزاج لين لما تحملت شتى اعباء الحمل والولادة ولما اقدمت على الاضطلاع بمسؤولية كهذه، حيث لا نجد متطوعاً يروم حملها غيرها.. ومنه نحدد دور المرأة الرئيس في الحياة وهو دور «الأمومة» والإسلام كرم تلك المرأة وخصها بالذكر من حمل الولد في بطنها كرهاً ووضعها كرهاً ثم الإرضاع ثم مشقة التربية حتى يكبر ويستقل ويستعد هو بدوره لبناء حياة جديدة.

ونظراً لتلك المصاعب والمشاق اوجب الله سبحانه وتعالى لها حقوقاً خاصة، ألا وأهم تلك الحقوق هو برّ الوالدين وطاعتهما ومصاحبتهما في الدنيا معروفاً. وقرن طاعته سبحانه بطاعتهما، وعدم عصيانهما إلا ما يوجب الشرك حيث لا يطعهما في ذلك الموقف فقط ولكن يصاحبها بالمعروف!

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٢).

قال سعد بن أبي وقاص: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يأسعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت، لتدعن عن دينك هذا أولاً آكل

١ - الزمر: ٦.

٢ - لقمان: ١٤ - ١٥، وانظر سورة العنكبوت: ٨.

ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه. قلت: لا تفعلني يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء. قال: فمكثت يوماً لا تأكل فأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها. قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلني وإن شئت فلا تأكلني، فلما رأت ذلك أكلت، فأنزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي..﴾^(١).

ومن اروع القصص القرآنية التي تصف عطف الأم وانشدادها البليغ حول وليدها نقرأها في قصة (أم موسى):

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾^(٢).

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وفي آيات أخرى قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِّنْ

١ - أسباب النزول للواحدي: ٢٤٠ - ٢٤١، أسباب النزول للسيوطي: ٢٢٥.

٢ - طه: ٣٨ - ٤٠.

٣ - القصص: ١٠.

الرُّسُلِينَ ﴿١﴾.

جاءها الأمر الإلهي: بالرضاعة ثم الالتقاء في البحر.

ثم النهي الإلهي: لا تخافي ولا تحزني.

فالبشارة الربانية: إنا رادوه اليك وجاعلون من المرسلين كي يطمئن

قلبها ويهدأ روعها.

فاشتملت الآية المباركة على أمرين ونهيين وشارتين فاطمئن قلب

الأم الحنون. وبقيت تترقب وليدها بصبر وإيمان عظيمين، وكادت ان تبدي

به لولا ان ربط الله على قلبها فتكون من المؤمنين ثم تبعث ابنتها بمتابعة أمر

وليدها وتفحص اخباره كي يطمئن بالها .

فاذا هي تدهم على من يكفله (في الرضاعة) وهكذا التئم الشمل في

معاجز إلهية عظيمة.

وهناك آيات أخرى فصلت اتعاب الوالدين بصورة عامة والام بصورة

خاصة والاهتمام بها وذلك بشأن الرضاعة ووجوب الحقوق على الأب

تجاه الأم المرضع قال سبحانه تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا

تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ...﴾ (٢).

وجاء الخبر عن رسول الله ﷺ انه قال: «ليس للصبي لبن خير من

١ - القصص: ٧.

٢ - البقرة: ٢٣٣.

لبن أمه»^(١).

وعن الامام علي عليه السلام قال: «تخيروا الرضاع كما تخيرون للنكاح فإن الرضاع يغير الطباع»^(٢).

وفي الدعاء للوالدين وخصهما بالشكر والتبجيل قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِئْتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ثم الجزاء الرباني: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ جزاء برّه لوالديه ورعايته لهما!

وفي العقاب الاخروي لمن ينهرهما ولا يرعاهما: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾^(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: نزلت هذه الآية: (والذي قال لوالديه أف لكما) في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه وكنا قد اسلما

١ - بحار الأنوار م ١٠٣ ص ٣٢٣.

٢ - وسائل الشيعة ١٥: ١٨٨.

٣ - الأحقاف: ١٥ - ١٨.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٦٩
وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام. فإرد عليهما ويكذبهما ويقول
فأين فلان واين فلان يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم اسلم بعد
فحسن اسلامه..^(١).

ثانياً: المرأة زوجاً

إنّ الرابطة التي تربط الرجل بالمرأة ضمن قوانين شرعية معينة وعرفية
يقال عنها الزواج وهو «اصل التواصل بين الرجل والمرأة مما تنبيه الطبيعة
الإنسانية بل الحيوانية بأبلغ بيانها»^(٢).
أو هو «اتحاد جنسي بين الرجل والمرأة إتحداً يعترف به المجتمع
بواسطة إقامة حفل خاص، ويتضمن الزواج حقوقاً وواجبات لا للشريكين
الذين يقدمان عليه وحدهما، ولكن للأبناء الذين ينتجهم هذا الزواج
أيضاً»^(٣).

وفوق ذلك كله هو وسيلة للسكن والاطمئنان النفسي فقال تعالى:
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٤).
وبالزواج يتحقق النسل وتنجب الذرية:

١ - أسباب النزول للسيوطي: ٢٦٧.

٢ - تفسير الميزان ح ٤: ١٨٥.

٣ - الزواج، عمر رضا كحالة ح ١: ١٠، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤ - الروم: ٢١.

٧٠.....المرأة في القرآن الكريم
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ
وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(١).

فالزواج نعمة إلهية كبيرة، والزوجة احدى نعم الله على الرجل، فهي قرّة
عينه وسكنه وحرث له، والآيات القرآنية التي ذكرت الزواج تؤكد على عدم
التفضيل بينهما في أصل الخلقة والتكوين فكل منهما يكمل الآخر وبذلك
يشع الود والاحترام داخل جو الاسرة، وهناك نوعان في العلاقات:

١ - علاقة مستقيمة جائزة بين الجنسين وهو ما يربطهما بقواعد
شرعية من واجبات العقد والمهر والايجاب والقبول، للمحافظة على تلك
العلاقة التي سينشئ من خلالها نسل طاهر، اضافة إلى ذلك قد وضع
الإسلام جملة من الحقوق والواجبات لكل منهما.

٢ - علاقة جنسية غير شرعية كالزنا والشذوذ الجنسي مثل اللواط
والمساحقة، وقد يكون ابرز أسباب هذه العلاقات هو عدم الالتزام الكامل
بقوانين الله عز وجل التي سنّها من اجل حفظ النوع البشري، كذلك التبرج
والخلاعة واللامبالاة في امور الحلال والحرام..

وهناك بعض الآيات القرآنية التي اهتمت بوضع القوانين التي تحدد
نوعية المعاملات بين الجنسين، منها:

أ - فرض الحجاب الكامل على المرأة المكلفة، لما فيه مصلحة لها
وحماية لجنسها الرقيق.

ب - عدم الخضوع بالقول ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

ج - وضع حد للاختلاط بين الجنسين.

فالإسلام إذاً وضع اساليب تربية لحفظ النفس والأسرة والمجتمع، ومن اهم تلك الارشادات هي التحذير من عواقب الفتنة والإثارة فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

وفي غض البصر لأنه العنصر الأساس في التفكك الأسري والعائلي:
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾^(٢).

وليس معناه أن لا يغض الرجل من بصره وألا يحفظ فرجه وإنما الالتزام بالتشريع الديني والاخلاقي من واجب الجنسين معاً واختصت المرأة بضوابط الحجاب وعدم ابداء الزينة وبذلك لا يحرم الاختلاط ولا الخروج إلى العمل مع الرجل فالحجاب الكامل ينبع من الداخل وليس خرقة تلف بها شعرها وتظهر ما سواه. فالآيات القرآنية الآتفة الذكر تجعل حداً فاصلاً بين الجنسين فأمرها بالحجاب الكامل وأمرها معاً بعدم الاختلاط المحرم وحذرهما من خائنة الاعين. وجاء في السنة النبوية ان رسول الله سأل فاطمة (عليها السلام) ما خير للمرأة؟

فقلت «خير لها أن لا ترى الرجل ولا يراها الرجل»، فكبر رسول

١ - الأحزاب: ٥٩.

٢ - النور: ٣١.

٧٢.....المرأة في القرآن الكريم

الله ﷻ وقال: «ذرية بعضها من بعض»، ولا يخفى ان هذا القول له آثاره التربوية في بناء الجو الاسري الصافي، وتبين هذه الكلمات القليلة ان اهم أسباب الانحراف هو الانفتاح اللاشعري بين الجنسين وعلى المرأة ان تحفظ نفسها من الوقوع في الفتنة، وليس معنا هذا تضيقاً عليها وحرمانها من الخروج والزينة والتبرج، بل حفاظاً لها ولكرامتها، اضافة إلى ان لها الحرية التامة في التبرج داخل بيتها وامام زوجها.. والحجاب الكامل هو من أهم الأمور التي تحفظ كرامة المرأة وتجعلها مهابة في المجتمع ويصون انسانيتها من اشرار الرجال.

والمرأة هي الركن الأول والعامل الجوهرى في الاجتماع الإنساني فقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وجو الاسرة المتحابة الصالحة هي سكن للانسان في ازالة عناء اليوم، سكن روحي مع سكن جسدي، وبذلك تتحقق المتعة في الحياة الفاضلة، هذه الراحة والسكن الذي جعله سبحانه بالزوجة الصالحة المطيعة التي تمسح وعشاء التعب والجهد عن وجه زوجها، وتغدقه بالعطف والحب والحنان، وتهيء له سبل الراحة والهناء، فتصفو الحياة وترتفع اجنحة الحب والمودة داخل عش الزوجية.

ولا بأس بذكر قصة زوجة صالحة كرمها الإسلام بالجنة نتيجة اهتمامها بزوجها؛ وكانت الجنة لها جزاء موفوراً كما اخبر بذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه حتى تسائل الجميع: ماذا فعلت تلك الزوجة حتى كان جزاءها الجنة؟

نترك الاجابة لتلك الزوجة:

«إن زوجي رجل يقوم بقطع الأخشاب وجمع الحطب من الجبل ثم ينزل إلى السوق فيبيعه ويشترى ما يحتاج إليه بيتنا، وأحس بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي. فأعد له الماء البارد حتى إذا ما قدم وجدته، وقد نسقت متاعي وأعددت له طعامه، ثم وقفت انتظره في أحسن ثيابي فإذا ما ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عريسها الذي عشقته مسلّمة نفسي إليه، فإن أراد الراحة أعنته عليها، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها»^(١).

فالزواج في نظر الإسلام حالة تعبدية يتقرب بها العبد إلى مولاه ويكون احدى الدوافع الأساسية في بلوغ درجات المغفرة والرضوان، وان وجهة نظر الإسلام تخالف تماماً وجهات النظر غير الإسلامية، فمعظم الدول الغربية تعتبره حالة جنسية تربط الرجل بالمرأة وان هذا الارتباط لا يقوم على أساس عقائد انسانية أصيلة؛ فالمرأة عندهم كالبقرة الحلوب، أما الكنيسة فقد كانوا يعطلون تلك الغريزة الطبيعية، ويمنعون النفس رغباتها بل ربما قاموا ببتتر عضو التناسل!

والإسلام يختلف تماماً عن تلك النظرات، فالحالة الجنسية طبيعية وقد تعتبر من الأمور التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

١ - نساء ورجال انزل الله فيهم قرآناً: ١٦ نقلاً عن المرأة في التصور الإسلامي للاستاذ عبد المتعال محمد الجبري.

قيل ان بعض الحنفية يرون الاشتغال بالواجبات الزوجية أولى من التخلي للنوافل، روي الامام مسلم ما يلي - بسند متصل عن ابي ذر - أن اناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا له: يارسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور، يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع احدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، اكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١).

حقوق الزوجة على زوجها

أولاً: حق الصداق (المهر):

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾^(٢).

والصداق: حق مالي يدفعه الرجل للمرأة كحق للزوجية؛ باعتباره رمز لإكرام المرأة ورفع شأنها، وهو حق خاص للمرأة ولا بد للزوج من ادائه والوفاء به.

١ - المرأة من خلال الآيات القرآنية - عصمت الدين كركر: ١٩٣ عن صحيح مسلم: ٤.

٢ - النساء: ٤.

وحث على التسامح بينهما؛ فيما لو كان الرجل فقيراً وضيق الحال،
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيزَةِ﴾^(١).

(وفريضة الصداق يمكن ان نستخلص منها أهداف سامية كثيرة، نذكر منها أولاً رفع ظلم اجتماعي كان متعارفاً في العصر الجاهلي، ومن ذلك إبطال انواع كثيرة من الزيجات مثل زواج الشغار - وهو زواج يتبادل فيه الوليان امرأتين تحت ولايتهما واحدة بواحدة ولا حظ فيه للمرأة من مال أو غيره.

ثانياً: تمكين المرأة من الملكية وحق التصرف دون قيد أو شرط وبذلك يبطل العضل، وقال جل قضاؤه في بيان حكم العضل وزواج الشغار:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾^(٢).

ويؤكد معنى ملكية المرأة لصداقها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٣).

١ - النساء: ٢٤.

٢ - النساء: ١٩.

٣ - عصمت الدين كركر، مصدر سابق: ٢٠٠ - ٢٠١ والآية من سورة النساء: ٢٠.

ثانياً: حق النفقة:

والنفقة واجبة على الزوج، وهي حق محتم عليه يجب ادائه للزوجة بحكم الكتاب والسنة الشريفة، فقال عز اسمه: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

ويكون الانفاق حسب سعة الزوج يسيراً أو عسيراً، ويؤكد ذلك قول الرسول الكريم: «ان تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٣).

ثالثاً: حسن المعاشرة:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤) وبالمقابل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٥).

ومن مصاديق الاكرام وحسن المعاشرة ان يلطف بزوجته ويتجنب إيذاءها حتى ولو بالكلمة النابية، وان يصبر عليها ويتحملها عسى ان

١ - البقرة: ٢٣٣.

٢ - رواه ابن داود في كتاب النكاح، حديث: ٢١٤٢.

٣ - الطلاق: ٧.

٤ - النساء: ١٩.

٥ - البقرة: ٢٢٨.

يجعل الله فرجاً وخيراً كثيراً.. وفي حال النشوز يتبع أسلوب الوعظ والهجر فقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٢).

وسوف نناقش موضوع «النشوز» في الفصل الأخير من هذا البحث بمزيد من التعمق والتفصيل.

ولا يخفى في ذلك كله من اكرام للمرأة المسلمة ورعاية لحقوقها، فالإسلام إذن دين حق ودين عدل ومحكمة عالمية كبرى.

وقد قال الحبيب المصطفى: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(٣) وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤).

أهداف الزواج

١ - العفاف والكفاف عن المحرمات وغيض البصر عما لا يحل له ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

١ - النساء: ٣٤ - ٣٥.

٢ - النساء: ١٢٨.

٣ - رواه ابن حبان في صحيحه.

٤ - الأحزاب: ٢١.

بِمَا يَصْنَعُونَ^(١) ينظر هذا قول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٢).

٢ - انجاب الذرية التي تخدم الإسلام والمجتمع، وتأمّر بالمعروف وتنتهى عن المنكر، وتؤدي الامانة التي حملها بها الباري عز وجل ، فتتوارث الاجيال من بعدنا الدعوة إلى الحق وحمل الرسالة السامية التي جاء بها خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام، فيتواصل الخلف بالسلف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣).

٣ - اداء كل طرف حق الطرف الآخر والقيام بواجباته، وبذلك تتحقق الرحمة والمودة التي قال عنها سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾^(٥) لما كانت الغريزة الجنسية رغبة مشتركة بين الذكر والانثى جعل الله الجنسين مكونين من خصائص متقابلة تمكنهما من التزاوج والتلبس والتعايش، غير

١ - انظر سورة المعارج: ٢٩ - ٣١ وسورة النور الآية: ٣٠ - ٣١.

٢ - كتاب النكاح: ابو داود ب ٢٠٤٢/١.

٣ - التحريم: ٦.

٤ - الروم: ٢١.

٥ - البقرة: ١٣٧.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٧٩

انه لا يتم الظفر بهذا الالتحام إلاّ بعد توفر أسباب النجاح بربط علاقة الزواج وما يسبقه من مراعاة للكفاءة بين الزوجين في مجالات مختلفة^(١).

فالعلاقة الزوجية إذن علاقة اشتراك طبيعي بين الزوجين تجمعهما عاطفة طبيعية، وهذه العاطفة نستطيع ان نقول انها تختلف اختلافاً كلياً عن عاطفة الام تجاه ابنائها او الاخت تجاه إخوانها.. حيث تجمعهم علاقة جنسية طبيعية هي أساس الحياة السعيدة ومنشأ عمارة الأرض وصفاء النسب، وقد وصف القرآن الكريم هذه العلاقة بالسكن أي الاطمئنان كما في قوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

فاللباس^(٢) هو تعبير عن كمال التزاوج والتمازج ولا يتأتى ذلك ما لم يتوفر ما يدعو له من عاطفة ومحبة رافعة إلى الاستجابة للغريزة المتأصلة عندهما. اعترف القرآن بحق الإنسان فيها ولم يرد فيه ما يمنعها ما دامت خاضعة للشرع والاخلاق ولم يجعل الانقطاع عنها والرهينة من علامات الفضل والتقوى والتدين كما هو الشأن في بعض الديانات الأخرى من امثال المسيحية او فرقة الفريسيين التي من عقائدها تحريم الزواج^(٣).

الكفاءة الزوجية

حثّ الإسلام على الكفاءة الزوجية، والكفاءة هي مساواة حال

١ - عصمت الدين كركر: ١٦٩. مصدر سابق.

٢ - انظر: عصمت الدين كركر: ١٥٥ - ١٥٦.

٣ - انظر مقارنة الاديان فصل المسيحية من اصدارات مركز جهان علوم إسلامي.

٨٠.....المرأة في القرآن الكريم

الرجل بحال المرأة في عدة مجالات وحتى الإسلام كما ورد في بعض الاحاديث «المسلم كفؤ المسلمة» فوضع هذا الميزان العادل الذي لا ينكفئ، لينقض عقائد الجاهلية وعاداتها التي كانت لا تزوج لفقير ولا لعبد مسترق، وكان ميزانها آنذاك بين المملوك والسادة والاشراف ممن هم من الطبقات العليا.

اما العوام (سواد الناس) فليس له الحق ان يتقدم ليخطب بنت من هو اعلى منه مرتبة. هنا نقض الإسلام هذه العادات البالية وكان ميزان الكفاءة «الإسلام والتقوى»، فقال عليه افضل الصلاة وازكى سلام: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(١).

فلا رابطة الا رابطة التقوى، ولا وشيجة الا وشيجة العقيدة و ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ومن هنا يتلخص الدور الحقيقي للدين في صياغة انسان عادل مستقيم فالافضل هو الاكبر، فانكفاً ميزان الاستعلاء إلى ميزان عادل واسع في نظم السنن والقوانين الاجتماعية. ومن هنا كان النزاع بين الدين والتقاليد الاجتماعية السائدة في العهد الجاهلي والتاريخ يحفل بالشواهد على ذلك:

^١ - وسائل الشيعة: كتاب النكاح.

١ - زواج جويبر من بنت رئيس القبيلة:

كان جويبر رجلاً مسلماً فقيراً لا يملك المال الكافي ليقترن به مع امرأة لتكون له وجاء من النار وقد سأله رسول الله ذات مرة: «الك رغبة بالزواج؟» فأجابه: «نعم يا رسول الله ولكن من يعطيني ابنته؟ فلست ممن يملك المال والجمال!» فأرسله إلى زياد بن ليبيد وكان من اشراف القبائل، ليخطب منه ابنته، فقال له: «يقول لك رسول الله اعقد لي على ابنتك زلفى» فاضطرب زياد.. وقال انت لست من شأننا ومقامنا فكيف اعطيك ابنتي؟! فنهض جويبر قائلاً: قسماً بالله ان ما قلته ليس من الإسلام في شيء. فسألت الفتاة أباهما عما حدث فقال شاب فقير قال انه جاء مبعوثاً من رسول الله لازوجك منه.

فقالت: اسرع خلفه يا والدي وآت به قبل ان يتألم رسول الله. وهكذا تزوج جويبر من زلفى بأمر من رسول الله ﷺ. ويروى ان رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «إن المؤمن كفؤ المؤمن لا اسود ولا ابيض، ولا عربي ولا أعجمي، فهم متساوون والميزان التقوى».

٢ - زينب بنت جحش:

كان زيد بن حارثة - مولى رسول الله - من أقرب الناس إلى قلبه فما ان استقر النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة حتى تطلع إلى اختيار زوجة

٨٢.....المرأة في القرآن الكريم

لزيد، ولم يجد الرسول تكريماً لزيد أكبر من أن يخطب له سيدة من شريفات قريش، انها ابنة عمته زينب بنت جحش إلا أن زينب تعترض على هذا الزواج قائلة يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش، فقال لها الرسول: «قد رضيته لك».

لكن زينب استعظمت أن تكون زوجاً لمولى.

فنزل الأمر من السماء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١).

عند ذلك اذعنت زينب للأمر الالهي ورضخت وقومها عندما علموا ان الأمر من السماء.

وتزوجت من زيد المولى^(٢).

وسجل الإسلام صفحة جديدة من نور الهداية في سجل البشرية اجمل المواعظ وانبلها، فلا تفاضل بين الناس الا بالتقوى، واكد الإسلام من خلال زواجهما ان الناس سواسية كاسنان المشط، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا ابيض على اسود ولا لحر على عبد الا بالتقوى.

ومن الناحية العقائدية حث الإسلام على صيانة الحياة الزوجية وطهارة النسل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّةٌ

١ - الأحزاب: ٣٦.

٢ - انظر: نساء في القرآن الكريم ٣: ٤ - ٥، اعداد فؤاد حمد والدقس، دار القلم العربي، ط ١. ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴿١﴾

روى السيوطي في أسباب نزول هذه الآية قائلاً:

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم والواحي عن مقاتل قال: «نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي، استأذن النبي في (عناق) ان يتزوجها وهي مشركة وكانت ذات حظ وجمال، فنزلت»^(١) الآية.

وأخرج الواحي من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم أنه فزع فأتى النبي فاخبره وقال: «لأعتقها ولأتزوجنها، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا ينكح أمة، فانزل الله هذه الآية»^(٢).

لأن المشركين والمشركات يدعون إلى النار، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة، لذلك حرّم الإسلام ان يقترن المسلم بالكافرة، وان تقترن المسلمة بالكافر إلا ما قد سلف، وان عدتم عدنا وحرّم ذلك على المؤمنين، لأن الزواج بالمشرك زواج واهٍ ورباط زائف ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾.

١ - البقرة: ٢٢١.

٢ - لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ٤٦.

٣ - أسباب النزول للواحي: ٥٢.

وكذا حث الإسلام على الكفاءة الاخلاقية للزوجين حتى يتم التفاهم والانسجام داخل البيت الاسري.

- قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

- وقوله تعالى في موضع اخر: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

ممن يتزوج الرجال؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣).

قال الواحدي في أسباب النزول: انها نزلت في حصن بن ابي قيس

١ - النور: ٣.

٢ - النور: ٢٦.

٣ - النساء: ٢٢ - ٢٣.

تزوج زوجة أبيه كبيشة بنت معن، وفي الأسود بن خلف تزوج زوجة أبيه أيضاً، وغيرهما.

وقال اشعث بن سواد: توفي ابو قيس وكان من صالحى الانصار، فخطب ابنه قيس زوجة أبيه، فقالت: اني اعدك ولداً، ولكني آتي رسول الله ﷺ استأمره، فأنته فأخبرته، فانزل الله تعالى هذه الآية^(١).

ذكرت الايتان الكريمتان المحارم اللاتي لايجوز الاقتران بهن بزواج (فالاختيار في الإسلام له شروطه واساليبه التي تبعده عن المواقف غير المشرفة، إذ يحرم على المرأة المسلمة الاختلاء برجل اجنبي عنها غير محرم من محارمها. ومن هنا نرى ان القرآن الكريم ذكر المحارم اللاتي لا يجوز للرجل التزوج بهن، وذلك إما للعلاقة الدموية القريبة مثل النسب أو الرضاع الذي يقوم مقامه، وقد شرحها الاطباء الاختصاصيون وتعرضت النشريات الطبية المختلفة، وأيد الواقع الملموس الاثر السيء الذي يصيب النشء اذا كانت بين الزوجين علاقة دموية قريبة او اعتماد على اصول اخلاقية مثل التحريم بالمصاهرة فهناك قواعد أساسية تشريعية خضعت لها أكثر الامم المتحضرة ولهذه الأمور وغيرها وضع الشرع النساء اللاتي لا يتم للرجل العقد عليهن ولا يمكنه الزواج بهن لأسباب مختلفة وجاءت الآيات القرآنية الشرعية مبيّنة طبقات المحرمات وانواعهن)^(٢).

١ - أسباب النزول: ١٠٣، وانظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ٧٩ - ٨٠.

٢ - عصمت الدين كركر: ٢٠٣ عن السيد قطب في ظلال القرآن ٢: ٢٨٩.

الاهتمام بالمرأة المؤمنة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُمْ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(١).

قال ابن عباس: ان مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على ان من أتاه اهل مكة رده اليهم، ومن أتى اهل مكة من اصحابه فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب وختموه.

فجاءت سُبَيْعة بنت الحرث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً، فقال: يا محمد ردّ عليّ امرأتِي، فإنك قد شرطت ان ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تحف بعد، فانزل الله تعالى هذه الآية^(٢).

ونلاحظ ان الله سبحانه وتعالى اهتم بالمرأة المؤمنة التي تركت زوجها وذويها من اجل الإسلام وقد ولّاها تعالى كبير الاهتمام، حيث امر المسلمين بعد أن يمتحنوهن ان لا يرجعوهن إلى الكفار بل حرم ذلك فلا هم يحلون لهن ولا هن يحللن لهم، ثم اوجب لهن حقوق تامة ولا يخفى في ذلك من مكانة اجتماعية غير التي كانت تعيشها سابقاً.

ثم ان هناك آيات اخرى تولي الاهتمام في التعامل مع غير المسلمين

١ - الممتحنة: ١٠.

٢ - أسباب النزول للواحي: ٣٠٣ - ٣٠٤.

الذين يعيشون في مجتمع اسلامي من امثال قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

نرى بوضوح ان الله سبحانه وتعالى قرن ذكر المحصنات العفيفات من أهل الكتاب بالعفيفات من المسلمات وأوجب حق المهر والصداق على كل امرأة من اهل الذمة والعهد او من المسلمات بقصد الزواج الشرعي الذي يربط الرجل بالمرأة وهذه احكام شرعية عامة ناقداً الطريقة التي يتعامل معها الرجال في العهد الجاهلي من امثال السفاح والمخادنة وغصب المرأة من حقوقها الشرعية لا فرق بين اهل الكتاب او المسلمين مما يسلط الضوء على العدالة الإسلامية التي سادت في المجتمع ككل.

على اعتبار ان المسلمين والكتابين متفقون في الايمان بالله سبحانه وتعالى خلاف المشركين وعليه فان الكفاءة الزوجية وخاصة في مسألة العقائد هي أساس السعادة والا فلا يجني احدهما غير الخسران والاحباط. اضعف إلى ذلك فقد اعطى الإسلام الناحية الأخلاقية والسلوكية أهمية قصوى حيث كان لها الأثر الكبير في السعادة الزوجية بل عدها البعض من مهمات الكفاءة بين الزوجين لضمان حياة زوجية متعالية.

القرآن يسلط الضوء على العلاقات الزوجية:

الدين المحمدي الاصيل شامل لكل نواحي الحياة صغيرها وكبيرها، فهذا الكيان الصغير - الاسرة - الذي تهمله جلّ القوانين والنظم الموجودة على ارض المعمورة جاء الإسلام لينتشل هذا الكيان ويضعه في قائمة الأمور المهمة فأولى به كبير العناية، لانه هو الذي يبني الحضارات ويشع منه مستقبل الامة المسلمة، منه تنمو الذرية ويتكاثر النسل ولولا هذا الكيان الصغير لما استطاع التاريخ ان يرسم محياه على ارض الوجود. وفي ظل الاريجية القرآنية نستطيع ان نقف حول مفهومين من المفاهيم المهمة داخل البيت الاسري الا وهما «القوامة والدرجة».

١. القوامة:

قال عز من قائل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١). والقوامة: كثير القيام، وقام على الشيء: أي في تدبيره وإصلاح شؤونه، ومنه القيم على اليتيم، والمراد من المبالغة هنا دوام قيام الرجل على المرأة في شؤون إرشادها وتأديبها وتثقيفها ما دامت مُعاشرة له^(٢). والقوامة؛ اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالامر، يقال هذا قيم المرأة

١ - النساء: ٣٤.

٢ - آلاء الرحمن في تفسير، الامام الشيخ محمد جواد البلاغي ح ٢: ٣٩٦.

وقوامها الذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها^(١)، لا ان يؤخذ معنى الآية - كما يقول به جل الرجال - في مسألة تفضيل الذكر على الانثى، فلا تفضيل هنا البتة لأن الآية ذكرت القوامة في مسألة داخل النظام الاسري، وعلاقة الزوج مع زوجته، وبما يخص الانفاق وكذا ما يخص التدبير.

وان الله سبحانه وتعالى لما قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ إن النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث، فذكر تعالى في هذه الآية انه إنما فضل الرجال على النساء في الميراث، لأن الرجال قوامون على النساء، فإنهما وان اشتركا في استمتاع كل واحد منهما بالآخر، امر الله الرجال ان يدفعوا اليهن المهر، ويدروا عليهن النفقة فصارت الزيادة من أحد الجانبين مقابلة للزيادة من الجانب الآخر، فكأنه لا فضل البتة، فهذا هو بيان كيفية النظم^(٢).

ثم انه تعالى قال: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يعني جاءت افضلية الرجال على النساء بالانفاق، فهو المنفق عليها وقبل ذلك المؤدي اليها حقها من الصداق والمهر.

فشرع للرجال أن يكونوا قوامين على من يرتبط معهم في العشرة من النساء بسبب فضل الرجال ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ في شأنهن وعليهن ﴿مِنْ

١ - تفسير الرازي: ٥. ٩١.

٢ - التفسير الكبير ج ٩: ٥٩٠: ٩١.

أَمْوَالِهِمْ^(١).

وللضرب أسبابه ودوافعه سنمر عليه في موضوع آخر.

فهذه الآية خاصة بالحياة الاسرية والعلاقات الزوجية، لا كما يتوهمه البعض انها مطلقة في الحياة الاجتماعية والسياسية والادارية وغيرها، فهذا مرفوض تماماً فالقوامة المذكورة للرجل هي في داخل اسرته فقط، وهذه القوامة هي من الاسس العائلية الملقاة على عاتق الرجل في تبعة الانفاق، وقال احدهم لرسول الله : من اعول يا رسول الله؟

قال: «امراتك وولد جاريتك»^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزْعُ لهُ أُخْرَىٰ لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا..﴾^(٣).

و«إذا كان الرجل قواماً على المرأة ، فان الفهم الصحيح لهذه القوامة هو انها مقصورة على شؤون الاحوال الشخصية؛ اما في غيرها فقد جعل الإسلام المرأة مع الرجل على قدم المساواة في الحقوق والواجبات المعنوية والمالية إلا في أشياء قليلة يقتضيها الفرق الواضح بين طبيعة المرأة وطبيعة

١ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن، مصدر سابق ج ٢: ٣٩٧.

٢ - البخاري، نفقات ٧: ٨١، مسند أحمد ٢: ٥٢٥.

٣ - الطلاق: ٦-٧.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٩١

الرجل. فالمرأة امام التكاليف الشرعية والواجبات الدينية شقيقة الرجل،
تصلي وتصوم وتزكي وتحج وتبيع وتشتري وتخرج للحروب والدفاع عن
الوطن وتعمل في أي عمل تشاء من زراعة او صناعة أو تعليم أو أي
وظيفة أخرى»^(١).

٢. الدرجة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ﴾^(٢).

أنّ المتتبع للآيات القرآنية يجد ان هناك كما هائلاً من تلك الآيات
تتعرض إلى ذكر بعض العوارض النفسية بل وحتى الجسدية منها التي
تتعرض لها المرأة سواء كانت أمّاً او زوجة، من حيض وحمل وولادة
وإرضاع وإلى غير ذلك من علاقاتها العاطفية.
ولهذا اثر كبير في تحمل مسؤولياتها وفعلاً لا يستطيع الرجل ان يحل
محلها في هذه الاعمال الشاقة كذا ولا تستطيع هي ان تقوم بالاعمال التي
يقوم بها الرجال.

وان هذا النعت المرافق لذكر المرأة هو تذكر بل خطاب عظيم للمؤمنين
لتقدير وظيفة المرأة التي تتماثل مع غرائزها الوجدانية، فالمرأة تختلف عن

١ - حقوق الإنسان المجلد الثاني: ٣٢٨، حق المرأة في المساواة، اعداد الدكتور محمد شريف
بسيوني وآخرون، دار العلم للملايين ط ١: ١٩٨٩م.

٢ البقرة: ٢٢٨.

٩٢.....المرأة في القرآن الكريم

الرجل في الواجبات والمسؤوليات ولكن... تلتقي معه في الحقوق، وإن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على الحكمة الربانية في تقسيم الواجبات كل حسب تركيبه الوجداني وغداً تجزى كل نفس بما عملت،...

وربما كان نصيب الرجال من تلك الاعمال والواجبات اكبر وأكثر بكثير من نصيب المرأة، وهذا رعاية لها ولعواطفها ولجنسها الرقيق الذي لا يتحمل المشقات ولنقف على ما يقوله المفسرون لهذه الآية:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ ۗ﴾.

(وَلَهُنَّ) أي النساء على ازواجهن (مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ) من الحق (بِالْمَعْرُوفِ) وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمّة، وإنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن المعاشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما أن للزوج حقوقاً عليها مثل الطاعة التي اوجبها الله عليها له وان لا تدخل فراشه غيره وان تحفظ ماءه فلا تحتال في اسقاطه، وروي ان امرأة معاذ قالت: يارسول الله ما حق الزوجة على زوجها؟

قال: «ان لا يضرب الوجه ولا يقبحها وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها».

وروي عنه عليه السلام انه قال:

«اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومن حقكم عليهن ان لا يوطئن فراشكم من تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح » أي غير شاق»
ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها..... ٩٣

وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها أن يملك التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهد...
وقيل معناه منزلة في الأخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما أحب أن استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة، وقيل معناه: أن المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها، وله الفضل بنفقته وقيامه عليها..

وروي أن امرأة جاءت إلى رسول الله فقالت:

يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟

قال: «أن تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب والرحمة حتى ترجع إلى بيتها...»^(١).

ومن أحكام الاجتماع المبني على أساس الفطرة أن يتساوى في الحكم أفراد وأجزاءه فيكون ما عليهم مثل ما لهم إلا أن ذلك التساوي إنما هو مع حفظ ما لكل من الأفراد من الوزن في الاجتماع والتأثير والكمال في شؤون الحياة.

وعلى هذا جرى الإسلام في الأحكام المجعولة للمرأة وعلى المرأة، فجعل لها مثل ما جعل عليها مع حفظ ما لها من الوزن في الحياة الاجتماعية في اجتماعها مع الرجل للتناكل والتناسل، والإسلام يرمى في

١ - انظر البيان ١: ٥٧٥.

ذلك ان للرجال عليهن درجة والدرجة المنزلة.

ومن هنا يظهر ان قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قيد متمم للجملة السابقة، والمراد بالجميع معنى واحد وهو: ان النساء قد سوى الله بينهن وبين الرجال مع حفظ ما للرجال من الدرجة عليهن، فجعل لهن مثل ما عليهن في الحكم^(١).

فالقوامة والدرجة (قاعدة إسلامية ذات مفهوم اداري، صرف اداري، وداخل الاسرة فحسب، لان البعض عندما ترد آية «الرجال قوامون على النساء» يظن انها واردة في المطلق ان كل الرجال وفي المجتمع وفي الحياة السياسية، الرجال قوامون على النساء... لا هنا القاعدة تدور داخل الاسرة فقط)^(٢).

وأظن ان هذا كافٍ ولا يحتاج لأي شاهد اخر من شواهد المفسرين على ان الله تعالى جعل للمرأة ما جعل للرجل وفضل الرجل عليها بدرجة أي منزلة وما علينا الا ان نبين تلك المنزلة التي سماها القرآن «بالدرجة»: لقد مرّ بنا سابقاً ان المرأة تعترضها في اطوار حياتها بعض الحالات النفسية والجسدية والعاطفية التي تصرفها نوعاً ما عن ممارسة الحياة الاجتماعية بل والسياسية والقضائية ايضاً بالشكل المطلوب وذكر البعض إنّ هذه الحالات تؤثر حتى على حافظة المرأة ودرجة تميزها العقلي!

١ - انظر تفسير الميزان ٢: ٢٣٦-٢٣٧.

٢ - انظر: وضع المرأة الحقوقي، ندوة حوارية مع السيد محمد حسن الأمين: ٣٢ - ٣٣، الكتاب الثالث، دار الثقليين بيروت لبنان. ط ١ ١٩٩٧م.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٩٥

أما الرجال الذين هم أكثر نصيباً في ممارسة الحياة خارج المنزل فنستطيع ان نقول انه محبوب نوعاً ما عن هذه الحالات العاطفية والجسدية لذلك فهو متميز بقدرته العقلية والجسدية عن المرأة التي كانت وظيفتها الأساسية داخل البيت الأسري.

ولم يمانع الإسلام ان تمارس عملها مع أخيها الرجل بالخارج شريطة ان لا تخل بواجباتها تجاه زوجها وابناءها، مع الضبط التام للحجاب الخارجي «الجسد» والحجاب الداخلي «النفس» فتتصرف تصرف الإنسان مع الإنسان الاخر، لا تصرف الانثى مع الذكر!

إذن الوظائف البشرية عند الجنسين (مرتبطة شديد الارتباط بتركيبهما الجسمي من حيث الاختلاف، فللمرأة خصائص عضوية تختلف بها عن الرجل نسبياً مما يكون له شديد الاثر على عقلانية المرأة ووجدانها، وبذلك يكون للانثى خصائص ببيكولوجية تميزها وتختلف بها عن نفسية الرجل ووجدانه.

وهذه الوظائف على شدتها وثقل حملها تحن المرأة اليها وترغب فيها وذلك دليل على اختلاف الأحاسيس عند الجنسين^(١).

فالمرأة إذن تخضع للعواطف والأحاسيس التي تختلجها فتضعف عندها قوة التركيز العقلية بخلاف الرجل الذي يمتاز بضعف العواطف وتركيز القوة العقلية، فأصبح واجباً ان تفوض الأمور الكلية التي لا بد وان تخضع لقوة تدبير العقل من حكومة وقضاء وإلى ما شابه

^١ - عصمت الدين كركر: ١٤٥، عن عسكر رياض محمد: نفسية المراهق وتربيته: ٣٧ - ٥٥.

ذلك إلى من يمتاز بمزيد العقل وضعف الميول النفسانية.
والسنة النبوية شاهدة على ان رسول الله (ص) لم يولّ امرأة على قوم
ولا اعطى امرأة منصب القضاء او لقيادة غزوة او للجهاد.
وأما (غيرها من الجهات كجهات التعليم والتعلم والمكاسب والتمريض
والعلاج وغيرها مما لا يتنافى نجاح العمل فيها مداخله العواطف فلم تمنعهن
السنة ذلك، والسيرة النبوية تمضي كثيراً منها، والكتاب ايضاً لا يخلو من دلالة
على إجازة ذلك في حقهن، فان ذلك لازم ما اعطين من حرية الارادة والعمل
في كثير من شؤون الحياة، اذ لا معنى لخراجهن من تحت ولاية الرجال،
وجعل الملك لهن بحياتهن ثم النهي عن قيامهن باصلاح ما ملكته ايديهن باي
نحو من الاصلاح، وكذا لا معنى لجعل حق الدعوى او الشهادة لهن، ثم المنع
عن حضورهن عن الوالي او لقاضي وهكذا، اللهم الا فيما يزاحم حق الزوج،
فان له عليها قيمومة الطاعة في الحضور، والحفظ في الغيبة، ولا يمضي لها من
شؤونها المجائزة ما يزاحم ذلك)^(١).

وفسر عباس محمود العقاد ذلك بالاختلافات الجسدية التي لها صلة
باختلاف الاستعداد بين الجنسين، ان بنية المرأة يعترها الفصد كل شهر،
ويشغلها الحمل تسعة اشهر، وإدراار لبن الرضاع حولين قد تتصل بما بعدها
في حمل آخر، ومن الطبيعي ان تشغل هذه الوظائف جانباً من قوة البنية،
فلا تساوي الرجل في اعماله التي يوجّه اليها بنية غير مشغولة بهذه
الوظائف الأثوية.

١ - تفسير الميزان ٥: ٣٥٤ - ٣٥٥.

الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها.....٩٧

وأضاف قائلاً: وبعض هذه الفوارق في استعداد الجنسين كافٍ لشرح معنى «الدرجة» التي تميز الرجل على المرأة في حكم القرآن الكريم، فهو معنى اقرب إلى الوصف المشاهد منه إلى الرأي الذي تتعدد فيه المذاهب، فلا يعدو تقرير الواقع من يرى ان الجنسين سواء فيما لهما وما عليهما، الا درجة يمتاز بها الجنس الذي يملك زمام الحياة الجنسية بحكم الطبيعة والتكوين^(١).

١ - المرأة في القرآن، العقاد: ١٢.

الخلاصة:

على المرأة المسلمة أن تطيع زوجها ولا تعصي له أمراً بحق «القوامة» عليها فهو الوالي والمنفق عليها في كل الأمور والتدابير والذي تفضل عليها «درجة» وفسرت هذه الدرجة بقوة تحكمه على الخلجات الوجدانية، وقوة استعداده النفسي والجسدي لخوض زمام الأمور.

فمن الحكمة إذن أعطيت القوامة للرجل في الاسرة وادارة الشؤون الاجتماعية بما يتميز على المرأة بتلك الدرجة!

الفصل الثالث

مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية

وحقوقها الاجتماعية

أولاً: الحق الأدبي للمرأة:

ونبحث في هذه النقطة عن الحجاب والتبرج لانهما من اهم مظاهر الحياة الاجتماعية سلباً وإيجاباً.

الحجاب هو احد الفرائض الشرعية التي اوجبها الإسلام لحفظ كيان المرأة وتمتين شخصيتها وابراز كرامتها فكأنه ضمان قانوني لها.

والإسلام لم يشرع شيء الا لخدمة الإنسانية، وفي تشريعه هذا حفاظاً للمرأة من محالب الشياطين وأيادي المنحرفين، الذين قد يمسوها بسوء، فهي بمثابة اللؤلؤة الثمينة واذا اردنا ان نحفظها فلا بد لها من شيء يقيها شرور الاشرار، فتحصنت اللؤلؤة بالصدفة، وتحصنت المرأة المسلمة بالحجاب!

يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ لَا يُوَذِّنْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿١﴾.

فالحجاب إذن حماية لها من الأذى.

وقد ثارت حول هذه المسألة مجادلات كثيرة كلها خاضعة لسيطرة الغرب والمغرضين وتأثراتهم، فهم ناطقون باسم الحرية والتحرر، وكأن الحجاب قيد من قيود الحياة يحرمها من ممارسة نشاطاتها وحياتها خارج البيت.

كلا فالحجاب ضمان قانوني للمرأة لا يحد من حريتها، بل يزيدها إجلالاً وكراماً وكان وساماً للعفة والطهر تتحلى به المرأة المسلمة.

ولا نقصد بالحجاب هنا وضع خرقة على الرأس بل المعنى أوسع وأدق من هذا، فالحجاب وقاية من الامراض النفسية والاجتماعية يبدأ من الداخل ليفيض على المظهر الخارجي التكامل الحقيقي، وبذلك يشترك الرجل مع المرأة في هذا المعنى.

- فمنع الزينة - الا ما ظهر منها.

- ووضع حد للاختلاط - الاختلاط المشروع.

- عدم الخضوع بالقول.

- الابتعاد عن خائنة الأعين بغض البصر.

- الابتعاد عما امرنا الله به من سفاح وخيانة وشذوذ الخ...

فكل هذه المفاهيم تدخل بمعنى الحجاب الشرعي بالاضافة إلى الستر الجسدي للمرأة ما عدا الوجه والكفين.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....١٠١

والحجاب لم يكن حالة شاذة امر بها الإسلام، بل كان معروفاً قبل مجيء الإسلام ايضاً بقرون عدة، ونقرأ هذا المعنى في كتب العهد القديم:

وفي الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن «رفقة» انها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي؟ فقال: هو سيدي فأخذت البرقع وتغطت. وفي الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضاً ان «تامارا» قد مضت وقعدت في بيت ابيها. ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملمها وتغطت ببرقع وتلففت.

وفي النشيد الخامس من أناشيد سليمان تقول المرأة: «اخبرني يا من تحبه نفسي، اين ترعى عند الظهيرة؟

ولماذا اكون مقنعة عند قطعان اصحابك؟»

وفي الاصحاح الثالث من سفر اشعيا: ان الله سيعاقب بنات «صهيون» على تبرجهن والمباهاة برنين خلايلهن بأن ينزع عنهن زينة «الخلاخل والصفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب».

ويقول بولس الرسول - احد حوارى عيسى - في رسالة كورنثوس الأول ان النقاب شرف للمرأة.. وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلقي الغرباء، وتخلعه حين تنزوي في الدار..^(١)

ثم جاء الإسلام وهذب السنن فأمر الرجال بغض البصر وأمر النساء بان لا يبدين زينتهن الا ماظهر منها:

١ - انظر المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، مصدر سابق: ٥٧ - ٥٨.

١٠٢.....المرأة في القرآن الكريم

١ - ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ..﴾^(١).

٢ - ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ..﴾^(٢).

٣ - وأمر المؤمنة بعدم ابداء الزينة لاغراء الرجال الا في مواضع

معينة:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ..﴾

٤ - واعتبر التبرج من عادات الجاهلية المنبوذة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٣).

فالتبرج إذن هو اظهار المرأة محاسنها، فاخذ من البرج وهو السعة في

العين وطعنة برجاء واسعة وفي اسنانه برج اذا تفرق ما بينها^(٤).

ويقول الاستاذ عصمت الدين كركر^(٥): ان نقطة الضعف عند المرأة هي

تعلقها بوسائل التجميل وحبها المفرط للزينة، فهي تحرص على ان تكون

جميلة واجمل مما هي عليه في الواقع، ومن هنا كان الحجاب ضريبة مادية

تدفعها مقابل هوايتها، وإذا سمح لها الشرع باشباع هذه الرغبة فانه حددها

١ - النور: ٣٠ - ٣٢.

٢ - النور: ٣٠ - ٣٢.

٣ - الأحزاب: ٣٣.

٤ - مجمع البيان: ٧ - ٨: ٥٥٧.

٥ - المرأة من خلال الآيات القرآنية: ٢٢٩.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....١٠٣

بالمحيط النقي النظيف اخلاقياً فكان امرها بحجب مفاتنها عمّن لا يحل لها شرعاً من المحارم حتى لا تكون سبباً في الفتنة، فيغتر بها وتقع هي والرجل في المحذور.. لكن الواقع الظاهري جعل المرأة تتحمل في الدرجة الأولى تبعه ذلك المحذور الذي وقع فيه بسبب فتنتها له مع انها تتحمل وزر ما تعلقا به معاً، اذ يمكن لمن شاركها الانكار، وقد لاتمكن هي منه بطبيعة جسمها وتركيبها العضوي.

يقول صاحب «الكشاف» في تفسير آية الحجاب: «فإن قلت: لم سُمح مطلقاً في الزينة الظاهرة؟ قلت: لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الاشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها، وخاصة الفقيرات منهن. وهذا معنى قوله «إلا ما ظهر منها» يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره، والأصل فيه الظهور. وإنما سُمح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم، ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم، ولما في الطباع عن ممارسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك».

وعن الطنطاوي في تفسير الجوهرى قال: «إلا ما ظهر منها عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخضاب في الكف والوجه والقدمين، ففي ستر هذه الاشياء حرج عظيم، فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الاشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها، ولاسيما في مثل تحمل الشهادة

١٠٤.....المرأة في القرآن الكريم

والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك، وهذا كله إذا لم يخف الرجل فتنة، فإن خافها غض بصره...»^(١).

ولا كما يتصوره البعض وخلافاً لما سنّه الإسلام من أن الحجاب أو الستر قيد يحرم المرأة من ممارسة نشاطاتها الاجتماعية والسياسية وغيرها فهو لا يحد من حريتها ولا يحرمها من مزاوتها. ويحق لها ممارسة علاقاتها خارج البيت بعيداً عن الفتنة، من أجل أن تصان هي ويصان المجتمع!

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾^(٢).

دلالة في الالتزام الخلقي والادبي للمرأة، التي لا تريد تحصناً من أجل حفظ وصون المجتمع من الانحراف، لأن أول بادرة للانحراف والسقوط تأتي من عدم الالتزام الكامل والشامل، والتبرج من أهم الدواعي المحفزة للانحراف والسقوط الخلقي لكل من الطرفين.

ولو قبل ذلك التبرج بغض البصر من الطرف الآخر لساد المجتمع جوٌ أخلاقي وإسلامي محصّن، لأن المرأة لا تتبرج لمن لا يراها أو لمن لا يهتم بها، والاعراض من الطرف الآخر هو أحد جوانب تطبيق الحجاب الإسلامي أو الالتزام الإسلامي بالمعنى الأعم.

وقد ورد في الحديث أن النظرة سهم من سهام إبليس.

١ - بواسطة العقاد: المرأة في القرآن: ٦٠ وما بعدها.

٢ - النور: ٦٠.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....١٠٥

وورد أيضاً أن الملائكة تلعن امرأة تتعطر وتخرج من بيتها حتى تعود، وتلعن زوجها إن كان راضياً بذلك، فكيف الحال إذن بشأن الخلاعة والميوعة؟! والقرآن يقول: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.

فالإسلام إذن شرع الحجاب من أجل حفظ كرامة المرأة وصيانتها، وحفاظاً عليها من تلصص الغواة وتحرشاتهم وبسلامة المرأة ضمان لبقاء الأسرة، وبالتالي سلامة المجتمع ككل.

ثانياً: الحق الاقتصادي

ومن الحقوق الأخرى التي اهتم بها الإسلام هو الحق المالي للمرأة، فقرر لها حقوقاً ثابتة والذي سماه القرآن الكريم «بحق الارث» لتحريرها من ربة التبعية للرجل، ولهذا دلالة على اهتمام الإسلام بحق المرأة الضائع، وايضاً له دلالة على مشاركتها في الحياة إلى جانب الرجل، فلها الحق في استثمار هذا المال او تشغيله وعليها دفع حق الصدقة والزكاة إلى جانب الرجل الذي امره الإسلام بذلك ايضاً، فلم يفرق الإسلام في إنماء المال بين الجنسين البشريين.

وتم تقسيم الميراث في الإسلام على أساس العدل لا على اساس المساواة كما سيتبين ذلك.

قال تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ

١٠٦.....المرأة في القرآن الكريم

مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١﴾.

دلالة على ان «الارث» من الحقوق المشتركة بين الرجل والمرأة.
فالأرث إذن هو الميراث، الارث من الشيء البقية من أصله،
والجمع إراث^(٢).

وقيل في سبب نزول الآية الانفة الذكر، عن ابن عباس قال: «كان اهل
الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور حتى يدركوا، فمات رجل
من الانصار يقال له أوس بن ثابت، وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا
عمه خالد وعرفطة، وهما عصبه، فأخذوا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول
الله فذكرت له ذلك فقال: ما أدري ما أقول.

فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ﴾^(٣).

ودلت على ان للرجال نصيباً وللنساء نصيباً، ولكن لم يبين المقدار في
هذه الآية، فأرسل الرسول إلى الوصيين وقال: «لا تقربا من مال اوس
شيئاً» ثم نزل بعد (يوصيكم الله في أولادكم) ونزل فرض الزوج وفرض
المرأة..^(٤).

١ - النساء: ٧.

٢ - لسان العرب، ابن منظور ١: ١١٢-١١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣ - لباب القول في أسباب النزول للسيوطي: ٧٧، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ١٠١.

٤ - التفسير الكبير م ٥: ٢٠٢.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....١٠٧

ويتبين من ذلك ان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، فيبين سبحانه وتعالى ان الأثر ليس مختصاً بالرجال دون النساء بل هو حق مشترك بينهما وان اختلف في الحظ - أي قدر المال - (نصيباً مفروضاً) أي نصيباً واجباً مقطوعاً، لانتقاش فيه ولا تأويل.

أقرّ الإسلام للمرأة الاستقلال الاقتصادي واعتبرها مالكة ما تكسبه، علماً بان النساء في بريطانيا حتى عام (١٨٥٠م) والمانيا حتى عام (١٩٠٠م) وإيطاليا حتى عام (١٩١٩م) لم يكن لهن حق في التملك^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٢).

قال السيد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية: واما كون سهم الرجل في الجملة ضعف سهم المرأة، فقد اعتبر فيه فضل الرجل على المرأة بحسب تدبير الحياة عقلاً، وكون الإنفاق اللازم على عهده، قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء)، والقوام من القيام وهو إدارة المعاش، والمراد بالفضل هو الزيادة في التعقل، فإن حياته حياة تعقلية وحياة المرأة احساسية وعاطفية، واعطاء زمام المال يداً عاقلة مدبرة أقرب إلى الصلاح من اعطائه يداً ذات احساس عاطفي، وهذا الاعطاء والتخصيص اذا قيس إلى الثروة الموجودة في الدنيا المنتقلة من الجيل الحاضر إلى الجيل التالي يكون تدبير

١ - عشرون سؤالاً وشبهة عن المرأة، ايوب الحائري ط ١: ١٨، عن روح الدين الإسلامي: ٣٤٥.

٢ - النساء: ١١.

١٠٨.....المرأة في القرآن الكريم

ثلثي الثروة الموجودة إلى الرجال وتدير ثلثها إلى النساء، فيغلب تدبير التعقل على تدبير الاحساس والعواطف، فيصلح امر المجتمع وتسعد الحياة. ومضى يقول في موضع آخر: لذلك فرق الإسلام بينهما في الوظائف والتكاليف العامة الاجتماعية التي يرتبط قوامها بأحد الامرين اعني التعقل، والاحساس، فخص مثل الولاية والقضاء والقتال بالرجال لاحتياجها المبرم إلى التعقل، وخص مثل حضانة الأولاد وتربيتها وتدير المنزل بالمرأة، وجعل نفقتها على الرجل، وجبر ذلك له بالسهمين في الارث (وهو في الحقيقة بمنزلة ان يقتسما الميراث نصفين، ثم تعطي المرأة ثلث سهمها للرجل في مقابل نفقتها، أي للانتفاع بنصف ما في يده، فيرجع بالحقيقة إلى ان ثلثي المال في الدنيا للرجال ملكاً وعيناً، وثلثها للنساء انتفاعاً، فالتدبير الغالب انما هو للرجال لغلبة تعقلهم والانتفاع والتمتع الغالب للنساء لغلبة احساسهن).

واستخلص نتيجة ذلك ان: الرجال فضلوا على النساء بروح التعقل الذي اوجب تفاوتاً في امر الارث وما يشبهه، لكنها فضيلة بمعنى الزيادة، واما الفضيلة بمعنى الكرامة التي يغني بشأنها الإسلام فهي التقوى اينما كانت^(١).

فكان بالنتيجة ان سهم الانثى من الأثر انتفاعاً أكثر من سهم الرجل منه لأن الزيادة ستعود اليها بنفقة الرجل عليها!!
واي كرامة جزيلة للمرأة هذه، التي كانت محرومة من الإرث ما قل منه أو ما أكثر؟

^١ - تفسير الميزان ح ٤: ٢٢١ - ٢٢٣، وانظر الجزء ٢: ٢٧٨ - ٢٧٩.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....١٠٩

فليس من حقها بعد هذا الاكرام ان تطالب بنصف الارث لان ذلك بضرر الرجل ويظلمه عن حقه لأنه هو المعيل الحقيقي لا المرأة!

(ومن المعروف ان مقابل الزيادة التي تلحق الرجل في الإرث هناك تعويضات تفوق هذه الزيادة عند المرأة من خلال وجوب الانفاق على المرأة ومن خلال ان للمرأة ذمتها المالية المستقلة ومن خلال انها قادرة على العمل والانتاج دون ان يكون الانفاق واجباً عليها، وقد لحُضت هذه الخصوصية للرجل لانه سيبقى الانفاق بالنسبة له على الاسرة قائماً فلا بد أن يبقى حقه المميز من الأثر قائماً)^(١).

ومن الأدلة القرآنية الأخرى الدالة على (الاستقلال الاقتصادي المالي) للمرأة إلى جانب حق الرجل الاقتصادي هو قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٢).

ومع ذلك فقد ادعى البعض أن هذا الحق المالي للمرأة لا يخلو من غصب وتمييز بينها وبين الرجل وعدم المساواة في الميراث دلالة على عدم تكريم المرأة إلى جانب تكريم الرجل، لكن وكما رأينا أن هناك أسباب دعت إلى تقسيم الحقوق وخاصة الحق المالي بين الجنسين، وأهمها ان المرأة ليست مسؤولة عن الانفاق بخلاف الرجل الذي وقع على عاتقه النفقة على

^١ - من كلام السيد محمد حسن الأمين في لقاء معه ضمن ندوة حوارية اقيمت في لبنان باسم: وضع المرأة الحفوقي بين الثابت والمتغير ص: ٤٣. دار الثقليين، بيروت.

^٢ - التوبة: ٧١.

١١٠.....المرأة في القرآن الكريم

عياله وهناك بعض الآيات القرآنية التي تنفي بعض تلك الأسباب ودعت إلى المساواة في الحقوق المالية بين المرأة والرجل فقال تعالى: ﴿وَلَا يُوْثِقُ لَكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾^(١)، وفي آية أخرى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾^(٢).

ومن امثال هذه المساواة هو حينما يموت الولد عن زوجة وابناء فان ابويه يتساويان في ميراثه فيرث كل منهما السدس^(٣).

ومنها ان المرأة والرجل من اقرباء الام يتساويان في الارث^(٤)، اذ أتى هذا التشريع لكل حسب حاجته.

ثالثاً: الحق القضائي للمرأة

ومن الأمور الأخرى الدالة على مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والعملية، والتي اقترتها الشريعة الإسلامية تجاه المرأة هو «الحق القضائي» ونقصد به قضية «الشهادة» في المحاكم القضائية.

ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في تنفيذ الأحكام، كحكم القتل والجلد والطلاق والى ما شابه ذلك من الجزاء، كذلك أقر الإسلام شهادة

١ - النساء: ١١.

٢ - النساء: ١٢.

٣ - وضع المرأة الحقوقي بين الثابت والمتغير ص ٨٠، مصدر سابق.

٤ - عشرون سؤالاً وشبهة حول المرأة، أيوب الحائري ط ١، ص ٥٥.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية..... ١١١

المرأة في تلك الأحكام وغيرها إلى جانب شهادة الرجل وهذه الشهادة أحكام لا تخفى على من تصفح القرآن الكريم وتلا قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(١).

أي: اطلبوا الشهود وأشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم أي من أهل دينكم (فان لم يكونا رجلين) يعني فان لم يكن الشهيذان رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليكن رجلاً وامرأتين (ممن ترضون من الشهود) عدالته، وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود.

(إن تضل أحدهما) أي ان تنسى احدى المرأتين (فتذكر احدهما الأخرى)، قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان.

أو بمعنى ان يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرة فلان أو فلانة حتى تذكر الشهادة، وهذا لان النسيان يغلب على النساء أكثر مما يغلب على الرجال، وقيل هو من الذكر أي يجعلها كذكر من الرجال^(٢).

جاء التشريع الإسلامي ان تقف إمرأتان إلى جانب رجل في الشهادة، وقد اثيرت حول هذه المسألة قضايا عدة، بأن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وعلل القرآن الكريم ذلك بأن المرأة قد يداهمها النسيان أو يشتبه عليها «وجه الحق» وبذلك تتم شهادتها

١ - البقرة: ٢٨٢.

٢ - مجمع البيان ١: ٦٨٣، وما بعدها.

بالتعاون مع امرأة أخرى من باب التذكير والتثبيت.

وقال أحد الباحثين: «مبحث في هذا الموضوع فأدركت أن المرأة في عاداتها الشهرية تكون شبه مريضة، وان انحراف مزاجها واضطراب اجهزتها الحيوية يصيبها ببعض الارتباك، والتثبت في اداء الشهادات واجب»^(١).

وللأسف الشديد نرى بعض الفقهاء يعتبرون شهادة المرأة منقوصة، وبالتالي يستبعدون شهادتها في الأمور التي تتصل بالدماء والاعراض! هذا التيار الذي نشأ حديثاً، ربما له جذور قديمة، غير أنه بعيد كل البعد عن «نصاب الشهادة» كما ذكره القرآن الكريم، فهم لم يتدبروا آياته، فلا معنى إذن - بعد أن قرأنا إقرار الدين الحنيف بشهادة المرأة - أن نستبعداها أو ننكرها تماماً!.

ثم ان ابن حزم في تمحيصة للآثار المروية يؤكد أن رفض شهادة النساء في الحدود والقصاص لا يوجد له أصل في السنة النبوية، وقال في كتابه «المحلى». «ولا يجوز ان يقبل في الزنا أقل من أربعة رجال عدول مسلمين او مكان كل رجل امرأتان مسلمتان عدلتان، فيكون ذلك ثلاثة رجال وامرأتين، أو رجلين وأربع نسوة أو رجلاً واحداً وست نسوة، او ثمان نسوة فقط. ولا يقبل في سائر الحقوق كلها من الحدود والدماء وما فيه القصاص، والنكاح، والطلاق، والرجعة والأموال إلاّ رجلاً مسلماً عدلاً أو رجل

١ - محمد الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: ٦٦، دار الشروق ط ١١، ١٩٩٦م.

وامرأتان كذلك أو اربع نسوة»^(١).

ويقول سيد قطب: لابد من شاهدين على العقد ممن ترضون من الشهداء، والرضا يشمل معنيين: الأول ان يكون الشاهدان عدلين مرضيين في الجماعة، والثاني ان يرضى بشهادتهما طرفا التعاقد، ولكن ظروفًا معينة قد لا تجعل وجود شاهدين أمراً ميسوراً فهنا يسير التشريع فيستدعي النساء للشهادة، وهو إنما دعا الرجال لأنهم هم الذين يزاولون هذه الأعمال عادة^(٢).

(وهنا نلاحظ ان مهناً كثيرة في المجتمع العام خص بها الرجل دون المرأة لأن مثل القضاء والمحسبة والشرطة والمحاماة كل هذه المهن تقتضي معايير خارجية متتالية تكون مقومات لها، وثانياً لأن سيكولوجية المرأة لا تتماشى وما تطلبه بعض هذه المهن من غلظة وشدة وعنف عند الاقتضاء.. وشهادة المرأة تكون تارة مقدمة على شهادة الرجل فيما تختص به المرأة وتكون تارة مساوية لشهادة الرجل كشهادتهما في اللعان)^(٣).
وتكون تارة أخرى اقل من شهادة الرجل في ما يمكن أن تتأثر فيه المرأة برقة عاطفتها ودقة أحاسيسها^(٤).

١ - عن: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث مصدر سابق ص ٦٧.

٢ - في ظلال القرآن ١: ٤٩٣.

٣ - عصمت الدين كركر، مصدر سابق: ٢٣٦.

٤ - المصدر السابق: ٢٣٦، عن القاضي عبد الوهاب: الإشراف على مسائل الخلاف ٢: ٢٠٩، وابن عاشور محمد طاهر: اصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ١٥٤، محمود شتوت: الإسلام عقيدة وشرعية: ٢٦٠ - ٢٦٢.

ويتبين من خلال قراءة مصادر متنوعة لموضوع (الشهادة) ان شهادة المرأة ليست منقوصة - كما تخيله البعض - ولا يفضل عليها الرجال بشهادتهم، وإنما حسب ما تقتضيه الظروف التي يعيشها كل من الرجل والمرأة، جعلت شهادة احدهما اوكد من شهادة الآخر..لا ان تهدر شهادتها فيما لو كانت حاضرة في بعض القضايا دون حضور الرجال فيها!

فلا معنى إذن ان ترفض شهادتها في الأمور التي تكون اعلم من الرجال فيها!

رابعاً: الحق السياسي للمرأة

سمح الإسلام للمرأة ان تباشر حقها السياسي إلى جانب حق الرجل، ونقصد بالحق السياسي هنا هو «حق البيعة» «حق التصويت» يمكن ان يفتح هذا الحق افقاً واسعاً امامها في مشروعية حق الانتخاب إلى جانب الرجل في الأمور السياسية، الادارية، الدولية، المصيرية.

وذكر القرآن الكريم هذا الحق بصريح بيانه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ذلك بأن للمرأة دوراً فعالاً في الحياة السياسية، ويدل هذا الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، على أن رأي المرأة وموقفها الإيجابي إلى جانب الرجل، له قيمة أساسية في احترامها وتكريمها، وأنها

^١ - الممتحنة: ١٢، وقد مرّ بنا سابقاً سبب نزول هذه الآيات.

صنو الرجل، لا تختلف عنه في المجالات التي تفرد بها الرجل دون المرأة بسبب الظروف الاجتماعية السائدة في كل عصر وزمان، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(١).

لفت هذا التوجيه القرآني الكريم نظر المؤمنين إلى أمور أهمها اعتبار حق المرأة المهاجرة في لجوء سياسي يضمن لها الحياة الكريمة. فأمرت تلك الآية رسول الله ﷺ أن يقبل مبايعة المؤمنات المهاجرات الصادقات ويستغفر لهن الله ويضمهن إلى صف المجتمع الإسلامي.

لقد اضافت هذه الآية الكريمة بتشريعاتها بنداً جديداً في قائمة حقوق المرأة الا وهو تمكينها من حق اللجوء السياسي بعد ان كانت تبرم المعاهدات دون الالتفات اليها. ومن اجل ذلك طلب الكفار ردهن إذ يعتبروهن متاعاً لهم وشيئاً من لوازمهم، فصعد الشرع بالغاء ذلك ومكّن المرأة المهاجرة من زواج شرعي له شروط الزواج الإسلامي العادي، فلم تعتبر المهاجرة اسيرة وانما منحت حق المواطنة التي لها حقوقها وعليها واجباتها^(٢).

إضافة إلى حق اللجوء هذا الذي منحه الشرع للمؤمنة المهاجرة في سبيل الله اضاف حقاً آخر لها وهو حق الانتخاب الشرعي «البيعة» إلى

١ - الممتحنة: ١٠.

٢ - انظر عصمت الدين كركر: المرأة من خلال الآيات القرآنية: ٢٣٣ - ٢٣٤.

جانب الرجل كما قرأنا ذلك مفصلاً في الآيات القرآنية الآتية الذكر.
وختاماً نقرأ ما جاء في منظمات حقوق الإنسان في شأن الحق
السياسي للمرأة، فقد نصّت المادة الرابعة من الاعلان، القضاء على التمييز
ضد المرأة على ان تتخذ جميع التدابير المناسبة التي تكفل للمرأة، على قدم
المساواة مع الرجل ودون تمييز، الحقوق التالية:

أ - حقها في التصويت في جميع الانتخابات، وفي ترشيح نفسها لجميع
الهيئات المنبثقة عن الانتخابات العامة.

ب - حقها في التصويت في جميع الاستفتاءات العامة.

ج - حقها في تقلد المناصب العامة، ومباشرة جميع الوظائف العامة،
وتكفل هذه الحقوق عن طريق التشريع.

أما المادة السابعة، فقد نصت على ان تتخذ الدول الأطراف جميع
التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في الحياة السياسية والعامة
للبلد، وبوجه خاص تكفل للمرأة، على قدم المساواة مع الرجل الحق في:

أ - التصويت في جميع الانتخابات والاستفتاءات العامة، وأهلية
الانتخابات لجميع الهيئات التي ينتخب أعضاؤها بالاقتراع العام.

ب - المشاركة في صياغة سياسة الحكومة، وتنفيذ هذه السياسة، وفي
شغل الوظائف العامة وتأدية جميع المهام العامة على جميع المستويات
الحكومية.

ج - المشاركة في جميع المنظمات والجمعيات غير الحكومية التي تعنى
بالحياة العامة والسياسية للبلد.

الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....١١٧

كما نصت المادة الثامنة على ان تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة لتكفل للمرأة على قدم المساواة مع الرجل، ودون أي تمييز، فرصة تمثيل حكومتها على المستوى الدولي والاشتراك في أعمال المنظمات الدولية^{(١)(٢)}.

ونختتم هذا الفصل بنقطة مهمة تدخل في موضوع مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية، التي تعتبر ظاهرة اجتماعية نراها ونعيشها في كل زمان ومكان، تتم عن الخلق الاجتماعي الفعال الا وهي قصة النبي موسى مع بنات شعيب، وقبل الدخول في تحليل تلك المزية الاجتماعية الاخلاقية نقرأ ما تيسر في القرآن الكريم من قصتها ، إذ قال عز من قائل:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾^(٣).

نلتفت هنا إلى اهم تلك المزايا الاخلاقية:

١ - صفة العفة والحياء لبنات النبي شعيب.

٢ - غيرة النبي موسى، ونبله

١ - كتاب: حقوق الإنسان: م٢: دراسات حول الوثائق العالمية والاقليمية اعداد د. محمد شريف بسيوني وآخرون، ص٣٢٦، نشر دار العلم للملايين ط١ / ١٩٨٩، فصل: حق المرأة في المساواة، في ضوء الاعلانات العالمية والاتفاقات الدولية.

٢ - انظر م١ من المصدر السابق ص ٩٤ - ٩٥، وانظر ص ٢٨٩ وما بعدها، الدستور الثاني عشر الحقوق السياسية للمرأة.

٣ - القصص: ٢٣ - ٢٥.

- سجتان اخلاقيتان يجب أن يتحلى بهما كل من الرجل والمرأة في علاقاتهما الاجتماعية، ففي سلوك البنيتين أمام ملاً من الرجال يمكن أن نقتبس من هذا السلوك الحسن في عدم مزاحمة الرجال والالتصاق بهم، والدود بعيداً عنهم حتى يخلو الجو، عبرة وذكرى إخلقية، تتم عن التربية الدينية الواعية.

وفي غير موسى في مساعدة البنيتين - لعدم قدرتهما على السقي لضعف بنيتهما، وحتى لا يقعا في المحذور لاكتضاض المكان بالرجال - عبرة حسنة فقد تفاعل مع هذا المشهد باخلاص، وكان له شأن آخر غير شأن الرجال الآخرين، فساعدهما وأعانهما، حيث كان ابوهما شيخاً كبيراً وان هذه الاعمال ليست من شأن النساء.

فهذه الغيرة والشهامة، وذلك الحياء والعفة سجايا أخلاقية إسلامية. وقد تتجدد مثل هذه القضايا وأشكالها في الحياة العامة ويتعرض لها كل من الرجل والمرأة في ممارسة أعمالهما خارج المنزل لكن القليل جداً الذي يعي ويراعي تلك الأمور.

أضف إلى ذلك فإن الإسلام الحنيف، والحجاب الرفيع للمرأة المؤمنة لم يمنعها من مزاوله أعمالها داخل المجتمع، لو اتصفت هذه المرأة المسلمة بالعفة والحياء، ولو اتصف الرجل بكل معاني الاخلاق الحميدة، لساد جو إجتماعي اسلامي بعيد عن المناوشات اللامشروعة، التي تتعرض لها المرأة من قبل الرجال خارج المنزل!! وفي ذلك موعظة وذكرى لمن كان له قلب..

الفصل الرابع

الأحكام الخاصة بالمرأة

إنّ القرآن الكريم تعرّض إلى ذكر بعض المشاكل الخلافية التي يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية الاجتماعية والعائلية، وقد وضع لها حلولاً نفيسة لتفادي ما لا يحسن عقباه.

والقرآن هو الامثل في وضع خطط خاصة لتلك المشاكل، سواء ما يتعلق منها بالكيان الصغير وهو الاسرة، او بمشاركة المرء في الحياة العامة داخل المجتمع البشري، كي ينعم افراده بالهدوء والاستقرار، ومن أهم الأمور التي تعرض لذكرها القرآن الكريم والتي يدور بحثنا حولها هي:

١ - المشاكل العائلية (مشاكل الخلاف)، داخل البيت الأسري.

٢ - الطلاق وأحكامه.

٣ - حالات الشذوذ الجنسي، وموقف الشرع منها.

٤ - تعدد الزوجات.

أولاً: المشاكل العائلية:

الأسرة أداة اجتماعية صغيرة، ذات نظم وقوانين، والاسرة كغيرها من

الوحدات الاجتماعية، تحتاج إلى من ينظم أمورها ويرشدها، ويصلح مشكلاتها التي تتعرض لها من الداخل والخارج.

فالدول والمؤسسات والشركات تحتاج إلى نظم معينة وقوانين ورئيس أو مدير أو غيره، كذلك الأسرة تحتاج إلى من يدير شؤونها وفق قوانين مضبوطة الا وهو «الزوج» وفق ما جاء به الإسلام فهو المسؤول عن حماية هذا الكيان، لأنه القيم، وبه وبالزوجة تستقيم الأسرة، وبذلك تستقيم الحياة الاجتماعية.

ومن الأمور التي تعكر صفو الحياة الزوجية والعائلية:

١. حالة النشوز والإعراض:

قال عز وجل: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(١)، هذا فيما يخص نشوز النساء.

وفي موضع آخر قال عز اسمه عن نشوز الرجال وإعراضهم: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا... وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٢١

حَكِيمًا^(١)، فليس ان تكون المرأة هي الخاطئة دوماً، بل قد يكون الرجل خاطئاً أحياناً أخرى، وقيل في معنى النشوز: والنشوز يكون بين الزوجين وهو كراهية كل واحد منهما صاحبه، ونشزت المرأة بزوجها.. ارتفعت عليه واستعصت عليه وابعضته، وخرجت عن طاعته وفركته، ونشز هو عليها نشوزا كذلك، وضربها وجفاها وأضرَّ بها^(٢).

أو هو: معصية الزوج والترفع عليه بالخلاف^(٣). ويكون ذلك بعد التدرج منها بالخروج عن الطاعة وحفظ حقوق الزوج وواجباته، فتكون أوائل التدرُّج في ذلك منها بأعمالها وأخلاقها منذرةً ببلوغها مقام النشوز الوخيم، والطُّغيان في الخروج عن الموافقة والاستقامة، وهذه الأوائل هي مقام الخوف الذي شرَّع الله فيه التدرج بالاستصلاح^(٤).

وفي قوله تعالى: (قانتات حافظات للغيب) فيه وجهان: الأول: قانتات، أي مطيعات لله (حافظات للغيب) أي قائمات بحقوق الزوج، وقدم قضاء حق الله ثم اتبع ذلك بقضاء حق الزوج. الثاني: ان حال المرأة إما أن يعتبر عند حضور الزوج أو عند غيبته. أما حالها عند حضور الزوج فقد

١ - النساء: ١٢٨ - ١٣٠.

٢ - لسان العرب، ابن منظور، ١٤: ١٤٣، مادة (نشز).

٣ - تفسير الرازي م ٥: ٩٣.

٤ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن ج ٢: ٣٩٨.

١٢٢.....المرأة في القرآن الكريم

وصفها الله بأنها قانتة، واصل القنوت دوام الطاعة، فالمعنى انهن قيمات بحقوق ازواجهن...

واعلم ان المرأة لا تكون سالحة الا اذا كانت مطيعة لزوجها، لان الله تعالى قال: (فالصالحات قانتات) والألف واللام في الجميع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون سالحة، فهي لا بد وأن تكون قانتة مطيعة.. (بما حفظ الله) بما حفظه الله لهن، والمعنى ان عليهن أن يحفظن حقوق الزوج في مقابله ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن، حيث امرهم بالعدل عليهن وامساكنهن بالمعروف وإعطائهن اجورهن^(١). أي ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف.

عن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قال: «خير النساء إن نظرت اليها سرتك، وإن امرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها».

وبعد ان ذكر سبحانه وتعالى المرأة الصالحة المطيعة تلاها بذكر المرأة غير الصالحة وسماها الناشزة عن طاعة زوجها، فقال تعالى:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ وبيننا فيما سبق معنى النشوز ثم قال ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ فأول ما قدمه القرآن لعلاج هذه الحالة هي الموعظة الحسنة فإن لم تنفع معها موعظة ولين فعليه بالقطيعة، أي الهجر، وللهجر امور سنمر عليها لاحقاً. ثم الضرب غير المبرح، إن لم يجدي معها حل. فإن خيف الشقاق فالتحكيم بين الطرفين.

١ - انظر التفسير الكبير المجلد الخامس: ٩٢ - ٩٣.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٢٣

قال ابن عباس^(١): «(فعضوهن) بالعلم والقرآن (اهجروهن في المضاجع) حولوا عنهن وجوهكم في الفراش (واضربوهن) ضرباً غير مبرح ولا شائن (فان اطعنكم) في المضاجع (فلا تبغوا) فلا تطلبوا (عليهن سبيلاً) في الحسب (إن الله كان علياً) اعلى من كل شيء (كبيراً) اكبر من كل شيء، يكلفكم ذلك فلا تكلفوا من النساء ما لا طاقة لهن به من المحبة».

وهذه الفقرة الأخيرة من الآية الكريمة هي «تهديد الازواج على ظلم النسوان، والمعنى انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الانتصاف منكم، فالله سبحانه علي قاهر كبير قادر ينتصف لهن منكم ويستوفي حقهن منكم، فلا ينبغي ان تغتروا بكونكم اعلى يداً منهن واكبر درجة منهن»^(٢). والآية الكريمة زعيمة ببيان هذه التفاصيل ببيان أن ذلك لأجل التأديب والاستصلاح والطاعة بقوله تعالى ﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ﴾^(٣).

وقال الشافعي (رض): والضرب مباح وتركه أفضل. روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: كنا معاشر قريش تملك رجالنا نساءهم، فقدمنا المدينة، فوجدنا نساءهم تملك رجالهم، فاختلفت نساؤنا بنسائهم فذئرن على أزواجهن، أي نشزن واجراًن، فأتييت النبي ﷺ، فقلت له: ذئرن النساء على أزواجهن، فأذن في ضربهن، فطاف بحجر نساء النبي ﷺ جمع من

١ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بواسطة محمود العقاد: المرأة في القرآن: ١٢٥.

٢ - التفسير الكبير م ٥: ٩٥، وانظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

٣ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن ج ٢: ٤٠٠.

النسوان كلهن يشكون أزواجهن، فقال ﷺ: «لقد اطاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون أزواجهن ولا تجدون أولئك خياركم» ومعناه ان الذين ضربوا أزواجهن ليسوا خير ممن لم يضربوا، قال الشافعي: فدلّ هذا الحديث على أن الأولى ترك الضرب^(١).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يعضها بلسانه، فإن إنتهت فلا سبيل له عليها، فإن أبت هجر مضجعها، فإن أبت ضربها، فإن لم تتعض بالضرب بعث الحكمين»^(٢).

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (فلا تبغوا عليهن سبيلاً) فأزيلوا عنهنّ التعرض بالأذى، والتوبيخ والتجني، وتوبوا عليهنّ واجعلوا ما كان منهن كآن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز. فالقرآن الكريم قد لفت الأنظار إلى صون كرامة المرأة وعدم النشز عن حقوقها «الطبيعية» فجعل الضرب غير المبرح آخر العلاجات لحالات الخروج عن الطاعة ومعصية الزوج، فأمره بالكف عن أذيتها بل وأمره أيضاً بالإمساك بإحسان أو التسريح بإحسان، ولا يخفى ان الإسلام كرم المرأة ودافع عنها حتى في أشد حالات عصيانها من الزوج، فكان هذا الموضوع بمثابة ضمان للزوجة في جميع الخلافات العائلية، مع نصح وهجر ثم عقوبة غير مؤذية ولا جارحة للنفس، وأخيراً التحكيم كسبيل آخر للصلح وإلتئام عش الزوجية خشية ان يتهدم هذا العش ويضيعوا صغارهم!!

١ - التفسير الكبير م ٥: ٩٤.

٢ - التفسير الكبير م ٥: ٩٤-٩٥.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٢٥

فقال تعالى «والصلح خير» لأن المرأة لا تطيق إعراض زوجها عنها، ثم كشف القرآن عن شح النفس في اللامبالاة في تقريع النفس البشرية وإهانتها وعدم العدول على جادة الحق والصواب. ومع شديد الأسف ان اغلب الرجال جعلوا من هذه الآية وجوب ضرب النساء وإنهن لا يصلحن إلا بالضرب حتى لأتفه الأسباب وهذا يدل على الهمجية وعدم الوعي الكامل بمفاهيم الآيات القرآنية الشريفة!

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي معلقاً على اعتداد كل من الزوجين بنفسه «ان كل طرف يحرص على كرامته فلا يخطو إلى الآخر، لذلك يهيء الله طرفاً ثالثاً، يصبح ستاراً للمتخاصمين. وقد يقول احد طرفي الخصومة لولا تدخل فلان (الطرف الآخر) لما تم الصلح.

ولعل الحكاية الطريفة التالية تعطي الصورة الواضحة لغرور البشر: يحكى أن رجلاً تخاصم وامرأته التي يحبها وتحبه، وعز على كل منهما إزالة الجفوة حيث تمسك الرجل بموقفه والمرأة بموقفها وطال الوقت عليهما ومع طوله يزداد شوق كل منهما إلى الصلح، والكبرياء ترفع الخصومة في الظاهر وتخفي الشوق في الباطن. ويحدث ان يجلس الرجل في غرفته المغلقة والمرأة في حجرتها، فأرادت المرأة ان تعرف حال زوجها، فسارت على اطراف أصابعها إلى حجرة زوجها، فوجدت زوجها رافعاً يديه إلى السماء يدعو الله متوسلاً: يا رب اجعل زوجتي تأتيني لتصالحني، وفرحت المرأة أكثر عندما سمعت زوجها يستغيث بأولياء الله ويقول يا سيدتي زينب لك عندي نذر قدره كذا وكذا إذا صالحتني زوجتي، وكان قلب المرأة يزداد فرحاً كلما

سمعت توصل زوجها، فلم تطق صبراً فذهبت إلى حجرتها ولبست اجمل ملابسها، وسارت بخطوات فيها خجل واستحياء، وكأن هناك من يدفعها إلى غرفة الزوج دفعاً وهي تهمس بصوت مسموع لماذا تجبريني يا سيدتي زينب على الصلح معه..!

وهكذا نرى ان التبجح بالسيدة زينب إنما هو ستار للحب والحكاية على طرافتها تبين بوضوح كيف ان كل طرف في الخصام يجب ان يتدخل طرف ثالث»^(١).

وقال محمد عبده في تفسيره عن مشروعية ضرب النساء انه: «ليس بالامر المستنكر في العقل أو الفطرة فيحتاج إلى التأويل، فهو امر يحتاج اليه في حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة، وإنما يباح إذا رأى الرجل ان رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه، وإذا صلحت البيئة وصرن يعقلن النصيحة ويستجبن للوعي، او يزدجرن بالهجر، فيجب الاستغناء عن الضرب، فلكل حال حكم يناسبها في الشرع، ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء، واجتناب ظلمهن وأمساكنهن بمعروف، أو تسريحهن بإحسان، والأحاديث في الوصية بالنساء كثيرة جداً»^(٢).

وفي حجة الوداع ان الرسول ﷺ، ذكر حق النساء في فقرة من فقرات حديثه الشريف، فقال عليه افضل الصلاة واتم السلام:

١ - كتاب: الطلاق تشريعاً: ٧٥ - ٧٦ عن تربية المسلم للشعراوي.

٢ - بواسطة عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن: ١٣٣.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٢٧

«الا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، لا تملكون منهن شيئاً غير ذلك...» ما اعظمها من كلمة، لو لم يصدر الإسلام في حق المرأة غير هذه لكفى بنا فخراً ان رسول الله وفي آخر لحظات حياته الشريفة يوصي الرجال بنا خيراً، فهل يا ترى نستحق كل هذا الخير الجزيل من رسول الله؟!

ثم يقول عليه الصلاة والسلام: «إلا ان يأتين بفاحشة مبينة، فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. ألا ان لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم احداً تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون، الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن».

وقال عليه الصلاة والسلام في موضع آخر:

«إني أتعجب ممن يضرب إمرأته وهو بالضرب أولى منها، لا تضربوا نسائكم بالخشب، فإن فيه القصاص ولكن اضربوهن بالجوع والعري حتى ترجوا في الدنيا و الآخرة»^(١).

أ. الشقاق:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٢).

١ - عشرون سؤالاً وشبهة حول المرأة - مصدر سابق: ٦٨ عن سفينة البحار ٢: ٥٨٦.

٢ - سورة النساء: ٣٥.

للشقاق تأويلان، أحدهما: ان كل واحد منهما يفعل ما يشق على صاحبه. والثاني: ان كل واحد منهما صار في شق بالعداوة والمباينة^(١). ولدفع الضرر الذي حلّ بالزوجين نتيجة الشقاق هو بعث الحكمين، حكم من اهلها وحكم من أهله، ليباشروا بآخر عملية إصلاح ورتق البيت الأسري.

وفائدة الحكمين «ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال، ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح، أو في المفارقة، ثم يجتمع الحكمان فيفعلان ما هو الصواب من إيقاع طلاق أو خلع»^(٢).

قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: امر الله عز وجل ان يبعث رجلاً من اهل الرجل ومثله من اهل المرأة فينظران ايهما المسيء، فان كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه على النفقة. وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة. فإن اجتمع رايهما على ان يفرقا او يجمعا فامرهما جائز، فإن رأيا أن يجمعا، فرضي احد الزوجين وكره الآخر ثم مات أحدهما فإن الذي رضي يرث الذي لم يرض، ولا يرث الآخر^(٣).

ب. الظهار:

الظهار مصدر ظاهر، وهو مأخوذ من الظهر، لأن أصله أن يقول

١ - التفسير الكبير م ٥: ٩٦.

٢ - المصدر السابق م ٥: ٩٧ عن الشافعي.

٣ - تفسر ابن كثير: ج ١ ٤٢٣.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٢٩

الرجل لزوجته: انت عليّ كظهر أمي، كناية عن الركوب المختص بالظهر، ثم شبه الزوجة بالأم^(١).

قال الفراهيدي: والظهار: مُظَاهَرَةُ الرجل امرأته، إذ قال: هي عليّ كظهر أمي، او كظهر ذات رحم مُحَرَّم^(٢).

وجاء في صحيح زرارة انه سأل الامام ابا جعفر عليه السلام عن الظهار فقال: «من كل ذي محرم من أم أو أخت أو عمة أو خالة، ولا يكون الظهار في عيين»^(٣).

والظهار حرمه الإسلام لانه عادة جاهلية، يحرم الزوج زوجته تحريماً ابدياً دون طلاق، وكره الله ذلك على المؤمنين، فذكر سبحانه هذه العادة البالية وقرع بها:

– قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهُاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾^(٤).

١ – كتاب: الطلاق على متن الشرائع، الشيخ مفيد الفقيه: ٢٢٣، (كتاب الظهار)، دار الصفوة بيروت ط ١: ١٩٩٤م.

٢ – كتاب العين، للخليل احمد الفراهيدي ٢: ١١١٩، ١١٢٠، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، تصحيح: اسعد الطيب ط ١: ١٤١٤هـ.

٣ – كتاب طلال علي متن الشرائع: كتاب الظهار: ٢٢٥.

٤ – المجادلة: ١- ٣.

١٣٠.....المرأة في القرآن الكريم

- وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ
أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ
قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(١).

- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَلِكَم تُوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ
فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾^(٢).

وجاء في سبب نزول الآيات من سورة المجادلة:

قيل انها نزلت في خولة بنت ثعلبة، جاءت رسول الله صلى الله عليه
وسلم تشتكي زوجها وتقول: أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت
سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل
جبريل بهؤلاء الآيات: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) وهو أوس
ابن الصامت^(٣).

فقال رسول الله لأوس: أعتق رقبة. فقال: مالي بذلك يدان. قال: فصم
شهرين متتابعين، قال: أما إني إذا أخطأني أن لا آكل في اليوم كل بصري.
قال: فأطعم ستين مسكيناً، قال: لا أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة،
فأعانه رسول الله بخمسة عشر صاعاً، حتى جمع الله له والله رحيم، وكانوا

١ - الأحزاب: ٤.

٢ - المجادلة: ٣ - ٥.

٣ - لباب النقول في أسباب النزول: ٢٩٠ - ٢٩١.

يرون أن عنده مثلها وذلك ستون مسكيناً^(١).

ولا يخفى علينا أن هذا التشريع هو حفاظاً على المرأة وتكريماً لها، ليلفت إليها الانظار وخاصة الأزواج على أنها إنسانة كما أن عليها حقوق وواجبات كذلك لها حقوق وواجبات، واعتبر الإسلام هذه العادة البالية - الظهار - من العادات الجاهلية نابعة من طيش ونزق، لذلك تشدد الإسلام في عقاب من يتبع هذه الحالة الباطلة (من عتق أو صيام أو إطعام المساكين) لأنه اعتدى على الزوجة وغصب حقها.. واعتبرها أمماً له وحرّمها الحق الجنسي الذي شرعه الإسلام حفاظاً على النوع البشري بعد أن ملّ منها أو كرهها أو وقعت عيناه على أخرى غيرها!!

جـ. الخلع:

بضم المعجمة - وهو مصدر سماعي - ويعني إزالة الزوجية حقيقة، وعرفّه بعضهم بأنه إزالة ملك النكاح، بلفظ الخلع أو ما في معناه نظير عوض تلتزم به الزوجة. وقال آخرون: هو فرقة بعوض بلفظ طلاق أو خلع كقوله: طلقتك، أو خلعتك على كذا فتقبل^(٢).

ويحدث الخلع حينما تتعذر استقامة الحياة الزوجية بينهما وإن لا يقيما حدود الله فيما لو بقيت تلك الحال من البغض والنشوز، فكما سمح الشرع

١ - أسباب النزول للواحي: ٢٩٢.

٢ - الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً، خاشع حقي: ٩٥-٩٦ دار ابن حزم ط ١: ١٩٩٧م.

للزوج ان يطلق زوجته وهذا من حقوقه الخاصة، كذلك سمح للزوجة ان تبادل بالخلع مقابل «الافتداء» لتحل رابطة الزوجية حيث لا رجعة فيها. والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)، ولا يخفى على عاقل ومتفهم ان هذا التشريع - الخلع - حق من حقوق المرأة ودلالة على كرامتها واهتمام الإسلام بصونها، فلا تحيز حينما وضع الطلاق للرجل في مقابل الخلع. وقضية الخلع التي طلبت فيها المرأة تسريحها من زوجها لبغضها إياه، مشهورة في كتب الاحاديث والتفاسير.

وخلاصتها تقول ان: «جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس، فأنت رسول الله فقالت: لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء، والله ما أعتبه في دين ولا خلق. ولكني اكره الكفر في الإسلام وما اطيعه بغضاً. إني رفعت جانب الخباء، فرأيتُه أقبل في عدة من الرجال، فإذا هو اشدهم سواداً، وأقصرهم قامة، واقبحهم وجهاً، فقال رسول الله لها: (أتردين عليه حديقته؟) قالت: أردتها وأزيدها عليه. فقال عليه الصلاة والسلام: (أما الزائد فلا) وقضى بالطلاق».

د.الإيلاء:

قال عز من قال: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ

١ - البقرة: ٢٢٩.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٣٣

فَأَوْوَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(١).

ومع صورة اخرى من صور الاعتداء على الزوجة، وقف القرآن مستنكراً هذا الفعل - الايلاء - من الزوج، الذي قسم ان لا يتصل بزوجه جنسياً، فكان طلاقاً مؤقتاً قد يتصل في بعض الاحيان إلى سنوات، وقد ابطله الإسلام، وخول القاضي ان يطلقها بعد أربعة اشهر ان لم يرجع (وهو في الاصل الحلف، من آلى على نفسه، أي قصر، ومنه قوله تعالى: [ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا اولي القربى والمساكين]، بمعنى لا يأخذوا على انفسهم ذلك، ولا يقصروا عنه، والله العالم، وأما شرعاً فهو الحلف على ترك وطء الزوجة)^(٢).

وكان الايلاء سائداً في الجاهلية كالظهار.

جاء في صحيحة ابي بصير المرادي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الايلاء ما هو. قال: «هو ان يقول الرجل لامرأته والله لا اجامعك كذا وكذا، والله لأغيظنك فيتربصن بها أربعة اشهر، ثم يؤخذ فيوقف بعد الاربعة اشهر، فان فاء وهو ان يصلح أهله، فان الله غفور رحيم، وان لم يف جبر على ان يطلق، ولا يقع طلاق فيما بينهما، ولو كان بعد أربعة أشهر ما لم ترفعه إلى الإمام»^(٣).

١ - البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧.

٢ - كتاب الطلاق على متن الشرائع، الشيخ مفيد الفقيه، كتاب الايلاء: ٢٤١. دار الصفوة بيروت ط ١ ص ١٩٩٤م.

٣ - م.ن: ٢٤٢.

هـ. الأثر والعضل:

وهو من اشنع الصور الجاهلية في حق المرأة حيث اعتبروها جزءاً من تركة المتوفي، يرثها الرجال من بعد ان يتوفى زوجها، فيجعلوها مع متاعه وأمواله كي يتم اقتسام الإرث، وليس لها الحق ان تمنع، وإنما هي متاع الرجل، فيصيروها إلى ورثة الميت، ثم يمنعونها من حق الزواج بعد الزوج الأول.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١).

وقد نهى سبحانه وتعالى عن ارث النساء وعضلها.. (في عصر كان البعض ينكح الاثرياء من النساء اللواتي لا جمال ولا شباب لهن، بل طمعاً في أموالهن، ثم كانوا يتركونهن دون طلاق، حتى يأتي أجلهن كي يرثوهن، جاء الاسلام محرماً ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾^(٢).

والعضل الذي ورد في الآية هو منع المرأة من الزواج. ولم يكن هذا التشريع الا من باب التضيق عليها.

والعضل: عَضِيلٌ مكتر اللحم، وعضلته: شددته بالعضل المتناول من الحيوان، نحو: عصبته، وتَجَوَزَ به في كل منع شديد، قال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ

١ - النساء: ١٩.

٢ - عشرون سؤالاً وشبهة حول المرأة، أيوب الحائري: ١٧ ط ١٤٢٠هـ.

يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ^(١).

قيل: خطاب للأزواج، وقيل للأولياء^(٢).

وعن الفراهيدي: عُضِلَت المرأة، بالتخفيف إذا لم تَطْلُق، ولم تترك، ولا يكون العضل إلا بعد التزويج.

وعُضِلَت المرأة بولدها، إذا عسر عليها ولادها، وأَعْضَلَتْ مثله، وأَعَسَرَتْ فهي مُعْضَل^(٣).

وعن البخاري قال: كانوا إذا مات الرجل فإن أولياءه أحق بزوجته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجها، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهو أحق بها من أهلها^(٤).

وجاء في سبب نزول الآية: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري وكانت له ابنة عم طلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، فقال: طلق ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها وقد راضته فنزلت هذه الآية^(٥).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم حسن عن أبي امامة بن سهل بن

١ - البقرة: ٢٣٢.

٢ - مفردات الراغب الاصفهاني: ٥٧١، مادة (عضل)، تحقيق: صفوان عدنان.

٣ - كتاب العين، الخليل احمد الفراهيدي ٢: ١٢٢٦، مادة (عضل).

٤ - البخاري: ٤: ٦، وانظر أسباب النزول للسيوطي: ٧٩.

٥ - أسباب النزول للسيوطي: ٥١.

حنيف قال: لما توفي ابو قيس بن الأسلت أراد ابنه ان يتزوج امرأته، وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله (لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها)^(١).

و(كان العرب يعذبون النساء كي يتنازلن عن صداقهن ويحررن أنفسهن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾^(٢).

تلك هي أشد حالات الأنظمة الجاهلية في حق المرأة، فجاء الدين المحمدي الحنيف يلوم العرب وغيرهم، ويهجن عاداتهم البالية ليتم بناء مجتمع اسلامي فاضل، وتكون المرأة فيه بأمان تام من حالات الغضب العامة لحقوقها. ليتم بهذه السنن المشرعة عدالة اجتماعية، ينعم فيها كلا الطرفين بالمكانم التي خصها الله لبني البشر دون غيرهم: (وقد كرمنا بني آدم..).

ورأينا من المناسب ان نختم هذه النقطة بما جاء في الدر المنثور ما أخرجه البيهقي عن اسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبي وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء اليك، اعلم نفسي لك الفداء، انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذه إلا وهي على مثل رأيي، ان الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإهلك الذي أرسل، وإنا معشر النساء محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات اولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج

١ - لباب القول في أسباب النزول للسيوطي: ٧٩.

٢ - الآية من سورة النساء: ١٩، انظر: عشرون سؤالاً وشبهة، مصدر سابق: ٧١.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٣٧

حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم اثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الاجر يا رسول الله؟
فالتفت النبي (ص) إلى اصحابه بوجهه كله، ثم قال: (هل سمعتم مقالة امرأة قط احسن من مسألتها في امر دينها من هذا؟) فقالوا يارسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي (ص) اليها ثم قال لها: «انصرفي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء: ان حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعه موافقته يعدل ذلك كله» فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً..^(١)

ثانياً: الطلاق، وأحكامه:

وفي جولة اخرى مع أبغض الحلال إلى الله سبحانه وتعالى وهو الطلاق ويمكن تعريفه بأنه: حالة انفصام العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة. الطلاق لغة: حل القيد والاطلاق، ومنه ناقة طالق أي مرسلة بلا قيد، ترعى حيث تشاء لا تمنع. ومن المجاز طلقت المرأة فهي طالق وهن طوالق^(٢).

وشرعاً: حل قيد الزواج أو النكاح بلفظ الطلاق ونحوه^(٣).

والطلاق كما عرفه فقهاء الاحناف، رفع قيد النكاح في الحال او في

١ - تفسير الميزان ٥: ٣٥٨.

٢ - الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً - دراسة علمية مقارنة، خاشع حقي: ٢٢. عن: أساس البلاغة للزمخشري، ومعني المحتاج لخطيب الشربيني.

٣ - م. ن: ٢٢.

١٣٨.....المرأة في القرآن الكريم
المآل بلفظ مخصوص صراحة أو كناية أو بما يقوم مقام اللفظ من الكتابة
والإشارة^(١).

وعرفت محكمة النقض الطلاق بقولها: الطلاق شرعاً هو حل
رابطّة الزوجية الصحيحة بلفظ الطلاق الصريح أو بعبارة تقوم مقامه
تصدر ممن يملكه وهو الزوج أو نائبه^(٢).

ويتصور البعض ان هذا التشريع الإسلامي لفصم وانقطاع العلاقة
الزوجية يضر بالمرأة دون الرجل، وسنلاحظ أن هذا التشريع رحمة للمرأة
بل ونصر لها من سوط الظلم والعدوان، وقد اثبتت الشريعة الإسلامية جملة
من الحقوق للمرأة المطلقة كضمان قانوني لها واحتراماً لكرامتها حتى
لا تدس مرة اخرى تحت التراب بظلم وقهر!

وكيف لا يكون الطلاق رحمة للمرأة؛ فقد كان في العهود الجاهلية
يقسم الزوج على ان يهجر زوجته وما عليها إلا ان تذهب إلى بيت اهلها
او تزوي في بيتها، فيذرهما كالمعلقة حيث لا تخرج من عصمتها ولا تنال
حقها الزوجي، فأوجب الإسلام الطلاق حماية وضمان لتلك المسكينة التي
لا حول لها ولا قوة!

وقد يكون ذلك في حال غيبة الرجل او حالات - خاصة - سنتطرق
إلى ذكرها من خلال عرض الآيات القرآنية الخاصة بالطلاق.

١ - موسوعة الفقه والقضاء في الاحوال الشخصية: المستشار محمد عزمي البكري - رئيس
محكمة الاستئناف: ٧، دار محمود للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومنقحة ط ٩: ١٩٩٩م.

٢ - م. ن: ٨.

جاء في الحديث الشريف عن الرسول ﷺ انه قال: «ليس شيء من الحلال أبغض إلى الله من الطلاق»^(١) لكن شرعه الإسلام على انه «علاج مرّ» لا بد منه وآخر الدواء الكي!.

الطلاق من خلال الآيات القرآنية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلَا تُنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ

^١ - رواه ابو داود والحاكم وصححه.

بِمَعْرُوفٍ ﴿١﴾.

وفي موضع اخر ذكر سبحانه وتعالى الطلاق مع بعض الأحكام الخاصة به

منها:

﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ..﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٣).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٤).

١ - سورة الطلاق: من ١ - ٧.

٢ - انظر سورة البقرة آية: ٢٢٥ - ٢٤٢.

٣ - النساء: ١٩.

٤ - سورة الأحزاب: ٤٩.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٤١

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي أشارت إلى احكام الطلاق^(١)، والمتتبع لهذه الآيات المباركات سيجد انه سبحانه وتعالى ذكر احكاماً طويلة لحالة الطلاق أكثر مما هو تعريف لمعنى الطلاق وكيف يتم، ولا يخفى ايضاً أن ذلك كله اهتمامٌ وضمانٌ للمرأة المطلقة، والطلاق ليس حالة شاذة جاء بها الإسلام كما يتصور الناس القابعون في سراديبهم والمتفرجون دون ان يطلعوا على شرائع الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، فيوجهوا النقد اللاذع للإسلام. بأنه ظلم المرأة بهذا التشريع.. في حين ان بعض (الولايات في امريكا الشمالية يكفي بإثبات حصول الزنا مرة واحدة من الزوجة لأصدار حكم الطلاق ولا يكون ذلك في حالة وقوع الزنا من الزوج، بل ينبغي اثبات معيشته غير الشرعية مع امرأة أخرى لتطليق امرأته منه، ولا يلزم تقديم الشهود على وقوع الزنا على رأى من اولئك الشهود، بل يكفي إثبات السلوك الذي يفضي إلى العلاقة الجنسية لتقرير وقوع الجريمة، ومن امثلة هذا السلوك نزول الرجل والمرأة في الفنادق كأنهما زوج وزوجة، واجتماعهما في عزلة مربية، كما يجتمع الزوجان الشرعيان.

ومن أسباب الطلاق وقوع الغيبة المنقطعة من الزوج أو الزوجة، ولا يبطل الطلاق إذا ثبت بعد ذلك أن الزوج الغائب لا يزال على قيد الحياة. ولا حاجة إلى الاثبات بالشهادة أو البينة مع اعتراف الزوج المتهم بتهمة الزنا الموجهة اليه، وتسمى القضايا التي يلجأ فيها الزوجان

١ - أنظر: ملحق جامع لآيات الطلاق ص ٢٧٤ وما بعدها من كتاب المرأة من خلال الآيات القرآنية، عصمت الدين كركز.

١٤٢.....المرأة في القرآن الكريم

إلى الحصول على حكم الطلاق بالاعتراف، قضايا التواطؤ والتراضي.. وربما حدث التراضي على طلب الطلاق بعلّة غير علة الزنا في الولايات التي تكتفي بوقوع القسوة البدنية أو العقلية لتطليق المرأة من زوجها، فيعترف الرجل بتعذيب المرأة ويصدر الحكم بناء على هذا الاعتراف^(١).

وفي حال عدم اعترافه فماذا يكون مصير الاسيرة التي بين يديه؟ وجاء ضمن الاحصائيات الدقيقة لحالات الطلاق، ففي الولايات غير الكاثوليكية - في أمريكا - بلغت نسبة الطلاق ٤٠ ٪ من حالات الزواج وهي آخذة بالازدياد.

وبلغ الأمر بمحكمة الحقوق في مدينة (سين) من الكثرة انها فسخت (٢٩٤) نكاحاً في يوم واحد، ونشر في جريدة الاهرام المصرية في ١٤ / ٥ / ١٩٦٢م، إحصاء؛ اعلنت امريكا ان امرأة من كل (١٤) زوجة طلقت زوجها وانفصلت عنه.. وذلك بسبب إباحة القانون المدني هناك من حق الزوجة في تطليق زوجها^(٢).

فهذه الحكومات الاجنبية حافظت على بعض القضايا الدينية والمدنية، وإن توسعت او تضيق في تفسير أو اصدار احكام تلك القضايا الاجتماعية. ولكن يبقى حكم الإسلام المحمدي الحنيف هو الأكثر اتزاناً واعتدالاً والاكفاً من بين الأحكام العالمية الأخرى!

١ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن: ٩٣ - ٩٤، عن كتاب القانون المبسط لكل يوم.

٢ - الطلاق، خاشع حقي، مصدر سابق: ١١٤ - ١١٥ بتصرف.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٤٣

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١).

وجاء بالمذكرة الايضاحية للمرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م انه: «شرع مشروع الطلاق في الإسلام ليستطيع الزوجان التخلص من رابطة الزوجية اذا تحقق ان المعاشرة بالمعروف والقيام بحقوق الزوجية أصبح غير ميسور فللرجل ان يوقع الطلاق مستقلاً بايقاعه اذا علم ذلك. وللمرأة أن تطلب إلى القاضي التطليق اذا علمت ذلك بعد ان يلحقها الضرر لأي سبب من الأسباب الموجبة»^(٢).

ومن اتفه الأسباب في قضايا الولايات المتحدة الاميركية انها تقبل طلاق امرأة من زوجها «لمجرد قولها انها تحب الكلاب وزوجها لا يحبها ويكره وجود الكلب نائماً في فراش زوجته»!!^(٣).

والقانون المدني الفرنسي مثلاً لا يبيح الطلاق إلا لواحد من ثلاثة: أحدها: الزنا من احد الزوجين.

وثانيها: تجاوز الحدود والإهانة البالغة في معاملة احد الزوجين للآخر.

وثالثها: الحكم على احد الزوجين بعقوبة قضائية مهينة^(٤).

١ - سورة المائدة: ٥٠.

٢ - موسوعة الفقه والقضاء - مصدر سابق: ١٠ - ١١.

٣ - الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً، خاشع حقي: ١٠١، دار ابن حزم ط ١٩٩٧م.

٤ - الطلاق: خاشع حقي: ١٠٨ - ١٠٩.

ويبقى الدين الإسلامي هو الأسلم والأكثر أماناً من بقية الأديان أو من بقية الأوضاع الحكومية الأخرى، فقد جعل قبل الطلاق احكاماً وقوانيناً وخطوات عدة قبل ان يتهدم جدار الاسرة اذ قرر في حال نشوز الزوجة الوعظ اولاً - كما رأينا سابقاً - ثم الهجر في المضاجع فقط وان لا يزيد هذا الهجر عن ثلاثة ايام - كما جاء في بعض روايات اهل البيت (عليه السلام) - ثم الضرب غير المبرح في حال النشوز أو الاتيان بفاحشة مبينة فقط، وان لم تجد نفعاً هذه الخطوات التي تمت داخل اطار الزوجية طالب ان يقدم الزوجان حكيمين - خارج اطار الزوجية - وان يكون الحكمان عادلين ومن طرف الزوجين، وإن لم ينفع ذلك فأبغض الحلال إلى الله تعالى لأن الزواج نعمة إلهية كبيرة لكل من الزوجين، والطلاق هو ابعاد، ومسح وترك، تلك النعمة التي خصنا الله تعالى بها!

يقول الشيخ محمد عزة دروزه:

«وحيثما يعن المنصف من غير المسلمين في الاسلوب الرائع الذي ابيح في نطاقه الطلاق - إذا ما كان هو الحل الوحيد الذي لا مندوحة عنه بعد ان تكون كل الجهود قد بذلت للتوفيق، ومنحت الفرص الكافية للتروي والوفاق - لا يمكن إلا أن يُسلم بما فيه من حكمة بالغة وصلاح إنساني. ولا يكابر في ذلك إلا مغرض أو صاحب هوى حتى ليصح أن يقال إن إباحية الطلاق على النحو الذي شرعه الإسلام نعمة من نعم الله عز وجل على المسلمين لمنع انقلاب الحياة الزوجية إلى نار وجحيم وشقاق مقيم.

والتقاليد النصرانية الدينية تحرم الطلاق وما تزال كنائسها تتشدد في

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٤٥

ذلك بينما ترى الدول النصرانية قد أباحتها وأساغ ذلك الجمهور الاكبر من النصارى ومارسوه علناً وبشكل واسع حتى صار مجوناً وميوعة أكثر منه بحثاً عن الراحة والخلاص من شقاء اكيد حيث ينطوي في ذلك حاجة المجتمع الإنساني إلى هذا العلاج الذي جاء في التشريع الإسلامي الفريد محوطاً بكل الاحتياطات ليكون علاجاً صحيحاً لمرض صحيح فكان ذلك من مرشحات هذا التشريع ليكون شرع البشرية جمعاء في كل زمان ومكان وعلى احسن واقوى واحكم الصور ما دام الله عز وجل هو المشرع»^(١).

احكام الطلاق في آيات الطلاق:

ان الله سبحانه وتعالى ذكر احكاماً واسعة للمرأة المطلقة ومن اهم تلك الأحكام كما يلي^(٢).

١ - (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)، والعدة هي قعود المرأة عند الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة شرعاً..وذلك بأن تكون التطليقة في طهر لا واقعة فيه حتى تنقضي أقرأؤها. وفي قوله تعالى (واحصوا العدة) أي عدو الاقراء التي تعتد بها، وهو الاحتفاظ عليها لأن للمرأة فيها حق النفقة والسكنى على زوجها، وللزوج فيها حق الرجوع.

١ - الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً مصدر سابق: ١٠٢ - ١٠٣ عن المرأة بين القرآن والسنة. محمد عزة دروزه.

٢ - راجع تفسير الميزان: ١٩: ٣٢٦ - وما بعدها - سورة الطلاق.

١٤٦.....المرأة في القرآن الكريم

٢ - (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن)، أي البيوت التي كنَّ يسكنَّها قبل الطلاق، اضيفت اليهن بعناية السكنى (ولا يخرجن) نهى عن خروجهنَّ أنفسهن كما كان سابقة نهياً عن اخراجهن (إلاَّ ان يأتين بفاحشة مبينة) أي ظاهرة كالزنا والبذاء وايداء اهلها.

وعلة ذلك كله - ما جاء في النقطتين الأولى والثانية - قوله تعالى: (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) أي امرأً يفضي بتغير الحال وتبدل رأي الزوج في طلاقها بان يميل إلى الالتيام ويظهر في قلبه محبة حب الرجوع إلى زوجته.

٣ - (فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) أي اذا اقتربن من آخر زمان العدة (فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) الامساك بمعروف حسن الصحبة ورعاية ما جعل الله لهن من الحقوق، ويكون فراقهن بمعروف أيضاً احترام الحقوق الشرعية.

٤ - لو اختار الزوجان الطلاق فـ «اشهدوا ذوي عدل منكم» أي اشهدوا على الطلاق رجلين منكم صاحبي عدل.

٥ - (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر) أي واللائي يئسن من المحيض من نسائكم وشككنكم في امر يأسهن أهو لبلوغ سنهن - سن اليأس - أم لعارض فعدتهن ثلاثة أشهر.

٦ - (وأولات الأحمال أجلهنَّ أن يضعن حملهن) أي منتهى زمان عدتهن وضع الحمل (فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن) فلهن عليكم أجر الرضاعة وهو من نفقة الولد التي على الوالد.

ثالثاً: حالات الشذوذ الجنسي وموقف الشرع منها:

اهم ما يلفت نظرنا في الآيات القرآنية التي ذكرت معظم الفواحش ان هناك نوعاً من العقاب الدينيوي اضافة إلى العقاب الاخروي، وهذه الآيات لم تتحيز لطرف دون آخر، فخص كل من الرجل والمرأة عقاباً واحداً وفي بعض الحالات اختلفت هذه الادانة حسب موازين شرعية على أساس العدل لا المساواة.

ففي موضوع (الزنا) مثلاً، في حال لو كانت المرأة محصنة والرجل غير محصن فهنا يختلف العقاب حسب ما تقتضيه العدالة فعلى المرأة ادانة اشد من الرجل والعكس صحيح، وهناك حالات اخرى سنمر عليها لاحقاً.
قال تعالى طبقاً للمساواة:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

هذا فيما يخص العقاب الدينيوي لكلا الجنسين.

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٢).

١ - النور: ٢ - ٣.

٢ - الفرقان: ٦٨.

فيها عقاب اخروي فقال السيد عبد الحسين دستغيب في تفسير هذه الآية:

كلمة «آثاماً»: في هذه الآية الشريفة اسم لأحد الاودية في جهنم وهو محل مخصص لمعاقبة الزناة، حيث يسيل من اجسادهم شيء خليط من الصديد والدم، وجاء في الروايات ان «اثام» في هذه الآية و«غي» في آية أخرى هما بئران في جهنم لو القى فيهما حجر فانه لا يصل إلى قعرهما إلا بعد سبعين سنة، واستطرد يقول: إن الزنا احد أسباب ضياع الانساب وحدوث الفتن والاضطرابات، وسبب في ضياع الموارث واختلاطها... وقطع صلة الرحم، وضياع حقوق الاباء على الابناء وحقوق الابناء على الاباء^(١).

وروي عن الامام الباقر عليه السلام قوله: «للزنا آثار ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة، اما آثار الدنيا فإنه: ينزع الحياء، ويقلل الرزق ويقرب الموت والفناء، اما آثاره الآخروية فإنه يوجب غضب الرب وصعوبة الحساب ودخول النار»^(٢).

عقاب المحصنة:

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا

١ - الزواج الإسلامي: ٤٢. مؤسسة دار الكتاب الجزائري ط ١: ١٤١٦هـ.

٢ - بواسطة المصدر السابق: ٤٤.

الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا^(١).

هذا فيما يخص مضاعفة العقاب لنساء النبي ﷺ لانهن قدوة المجتمع..
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ^(٢)﴾.

فعقوبة المحصنة اشد من عقوبة غيرها لأن حد غير المحصنة مائة جلدة
﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ^(٣)﴾،
وعقوبة المحصنة الرجم بالحجارة حتى تموت، وفي ذلك خزي الدنيا اضافة
إلى عقاب الآخرة وقال: «ﷺ خذوا عني الثيب ترجم والبركر تجلد
وتنفى»^(٤).

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «ان الله لا يكلم ثلاثة يوم
القيامة ولا يطهرهم ولهم عذاب عظيم ومن هؤلاء الثلاثة المرأة التي
ترني في فراش زوجها»^(٥).

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نُسَائِكُمْ
فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى
يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا

١ - الأحزاب: ٣٠.

٢ - النور: ٦.

٣ - النساء: ٢٥.

٤ - التفسير الكبير للفخر الرازي م ٥: ٢٤١.

٥ - بالواسطة: الزواج الإسلامي - مصدر سابق - ٤٥.

فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا»^(١).
وقد قيل في معنى: (واللاقي يأتين الفاحشة) ان المراد «بالفاحشة» هنا؛
السحاق، وحدهن الحبس إلى الموت، وبقوله (واللذان يأتينها منكم) اهل
اللواط، وحدهما الاذى بالقول والفعل، والمراد بالآية المذكورة في سورة
النور: الزنا بين الرجل والمرأة، وحده في البكر الجلد، وفي المحسن الرجم^(٢).
وجاء عن رسول الله ﷺ انه قال: «إذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان
وإذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان»^(٣).

وجاء عنه ﷺ أيضاً في تفسير قوله تعالى: (أو يجعل لهن سبيلاً):
«خذو عني قد جعل الله لهن سبيلاً» الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة،
والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»^(٤).

ثم إن الله سبحانه وتعالى خص الحبس في البيت بالمرأة وخص الإيذاء
بالرجل، والسبب فيه أن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز، فإذا
حبست في البيت انقطعت مادة هذه المعصية، وأما الرجل فإنه لا يمكن
حبسه في البيت، لأنه يحتاج إلى الخروج في اصلاح معاشه وترتيب مهماته
واكتساب قوت عياله، فلا جرم جعلت عقوبة المرأة الزانية الحبس في
البيت، وجعلت عقوبة الرجل الزاني أن يؤذى، فاذا تاب ترك ايذاؤه،

١ - النساء: ١٥-١٦.

٢ - انظر التفسير الكبير، الفخر الرازي م ٥: ٢٤٠.

٣ - م. ن: ٢٤٠.

٤ - تفسير الفخر الرازي م ٥: ٢٤٣.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة..... ١٥١

ويحتمل أيضاً ان يقال ان الايذاء كان مشتركاً بين الرجل والمرأة، والحبس كان من خواص المرأة، فاذا تابا أزيل الايذاء عنهما وبقي الحبس على المرأة وهذا احسن الوجوه المذكورة^(١).

قذف المحصنة:

حذر الإسلام كثيراً من قذف المحصنات واعد لمن يقذفهن بالفاحشة عقاباً دنيوياً واخروياً ليدوق وبال امره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالِإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾^(٣).

وحديث الافك حديث معروف وصحيح نزل في براءة عائشة زوج رسول الله ﷺ حينما قذفها قوم، منهم عبد الله بن ابي بن سلول وغيره، راجع التفاسير في هذه الآية والتواريخ المعتبرة.

رابعاً: تعدد الزوجات

إنّ مسألة تعدد الزوجات من المشاكل التي تثار ضد الإسلام وضد التشريع الإسلامي ليشككوا بصلاحيه هذا النظام، وانه اهدر كرامة المرأة،

١ - انظر تفسير الرازي م ٥: ٢٤٤.

٢ - النور: ٢٣.

٣ - النور: ١١.

والإسلام لم يبتدع مسألة تعدد الزوجات بل على العكس من ذلك جعل له حدوداً وقيوداً، لكنه لم يلغها كلياً في الوقت نفسه وهناك ضرورات خاصة قد أوجبت هذا الأمر^(١). لكن هذه الآيات - الخاصة بتعدد الزوجات - قد ظبطت عدد الزوجات وقيدتها بشروط عدة كضمان العدل والقسط والابتعاد عن الجشع والظلم. وجاء هذا التشريع في عصر كان التعدد شائعاً بغير عدد.

والإسلام لم يرغب بهذا التعدد بل قيد العدد واشترط شروطاً شرعية وأدبية ولكن لن (تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) هنا تكمن مشكلة التعدد فالآية المباركة تنفي استطاعة العدل ولو حرص المؤمن!

الانظمة الغربية تقرب تعدد الزوجات:

وأخيراً بعد ان تعنت الغربيون لمسوا آثار ومساوئ فشل قوانينهم الوضعية ولم نجد بأساً من ذكر نماذج من هذا النوع^(٢):

١ - في عام ١٩٤٩م، تقدم اهالي «بون» عاصمة المانيا الاتحادية بطلب الى السلطات المختصة، يطلبون فيه ان ينص في الدستور الالماني على إباحة تعدد الزوجات... ونشرت الصحف منذ عشر سنوات تقريباً ان

١ - انظر ذلك مفصلاً في كتاب: نظام حقوق المرأة في الإسلام، للشهيد مرتضى مطهري: ٢٦٣ - ٢٨٨. ط ١ ١٩٨٥م.

٢ - انظر كتاب: نظام حقوق المرأة في الاسلام للشهيد مرتضى مطهري: ٢٦٢ وكتاب تعدد الزوجات في الإسلام، عبد الله ناصح علوان: ١٥ - ٣٢ دار السلام ط ٤: ١٤٠٩هـ.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٥٣

الحكومة الألمانية ارسلت إلى مشيخة الازهر تطلب منها نظام التعدد في الإسلام لانها تفكر في الاستفادة منه كحد لمشكلة ازدياد النساء، ثم أتبع ذلك وصول وفد من العلماء الالمان اتصلوا بشيخ الازهر لهذه الغاية.

٢ - يقول «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة الغرب»: «إن مبدأ نظام تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب، يرفع المستوى الاخلاقي في الامم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطاً، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في اوروبا».

٣ - وقالت «اني بيزانت» زعيمة التيوصوفية العالمية في كتابها «الأديان المنتشرة في الهند»: (ومتى وزنا الأمور بقسطاط العدل المستقيم، ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي - الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء - أرجح وزناً من البغاء الغربي، الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره).

٤ - وتقول احدى السيدات الانجليزيات (عن جريدة لندن تروث): «لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة تراني انظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً، وماذا عسى يفيدهن حزني، وان شاركني فيه الناس جميعاً؟ لا فائدة إلا في العمل بما ينفع هذه الحالة الرجسة، والله در العالم الفاضل «تومس» فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشفاء، وهو الاباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة وبهذه الوساطة يزول البلاء لا محالة، وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في اجبار الرجل الأوربي على

الاكتفاء بامرأة واحدة».

(وقد أنصف بعض الباحثين من الغربيين حيث قال: لم يعمل في إشاعة الزنا والفحشاء بين الملل المسيحية عامل أقوى من تحريم الكنيسة تعدد الزوجات)^(١).

وغير ذلك من الاعترافات التي ادلت بها الصحف والمقالات الغربية بنظام تعدد الزوجات في الإسلام لأنه الدواء الوحيد والعلاج الناجع في القضاء على مشكلة زيادة عدد النساء على الرجال ولبتر العلاقات السرية غير المشروعة في اتخاذ الخليلات والاختدان.

٢) **ضرورات تعدد الزوجات**

هناك ضرورات وأسباب عامة عالجها الإسلام بتشريع تعدد الزوجات نذكرها على النحو الاجمالي. وللاستزادة يمكن مراجعة المصادر الأساسية لهذا المبحث:

١ - الفائدة الاجتماعية وأهمها:

١ - الميزان في تفسير القرآن م ٤: ١٩٨ - نقلاً عن رسالة المسترجان ديون بورت الإنجليزي في الاعتذار الى حضرة محمد والقرآن، ترجمة الفاضل: السعيدى بالفارسية.

٢ - انظر المصادر الأساسية لهذا المبحث: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، وانظر الأسباب التاريخية لتعدد الزوجات في كتاب نظام حقوق المرأة في الاسلام الشهيد مرتضى مطهري. تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، د. عبد الناصر توفيق، دار الشروق جدة ط ٤ - ١٩٧٧م، تعدد الزوجات في الإسلام، عبد الله ناصح علوان مصدر سابق، تعدد الزوجات بين العلم والدين، عبد المحسن علي ابو عبد الله، دار الصفوة بيروت ط ١٩٩٧م، ومصادر اخرى بالواسطة.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٥٥

وجود العانسات، وبعبارة أخرى زيادة النساء على الرجال، وتقول الإحصائيات السكانية ان نسبة النساء إلى الرجال في العالم تصل إلى ٧٠٪ وفي المجتمع السعودي تصل إلى ٦٥٪ ودلت الإحصائيات في (فلندا) أنه من بين كل أربعة اطفال او ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكراً والباقيون اناثاً.

٢ - قلة الرجال بسبب الحروب والكوارث العامة، والطريق الوحيد لتلافي الخسارة بالرجال هو السماح بتعدد الزوجات.

٣ - المصلحة الشخصية ومنها عقم الزوجة في حال رغبة الزوج في انجاب الذرية او ان تصاب الزوجة بمرض مزمن او معد، أو ان يكون الرجل كثير الاسفار، أو كبر الزوجة، وغيرها من المصالح الشخصية.

٣ - وجود الأراامل والمطلقات.

٤ - صلة القرى.

٥ - ان يكره الرجل زوجته.

٦ - ومن أهم مقاصد الشريعة الإسلامية؛ تكثير نسل المسلمين وعمارة الأرض بيد مجتمع مسلم.

والإسلام لم يشرع تعدد الزوجات بنحو الوجوب بل أباح ذلك لمن استطاع ان يقيم القسط منهم، وان الزواج هذا عادة لا يتم إلا برضى المرأة. وغيرها من الأمور التي لا تكاد تحصى..

مسألة التعدد في القرآن الكريم:

إن من أهم الأحكام التي شرعها الله في كتابه في مسألة التعدد هي:

١ - قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ

لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ^(١). اتفق العلماء على انها - الآية - تفيد الاباحية لا الايجاب^(٢)، ثم ان الآية الكريمة حددت مسألة الجمع وهو لا يزيد عن «أربع» زوجات في وقت واحد.

٢ - ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ الشيء الذي يلفتنا ويهمنا في هذه الآية هو مسألة العدل بين الزوجات وكان ذلك شرطاً أساسياً من شروط التعدد، وقد قال بعضهم ان العدل المشروط هو العدل المادي لأن الحب بين الزوجات غير مستطاع لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣)، وحث الإسلام على الاكتفاء بواحدة في حال عدم الامكان في العدل بين الزوجات فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك»^(٤).

وقد روى البخاري ان غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة، وأن الحارث ابن قيس حين اسلم كان عنده ثمان نسوة فقال النبي ﷺ «اختر منهن أربعاً» ويفارقاً سائرهن.

١ - سورة النساء: ٣.

٢ - انظر تعدد الزوجات، عبد الله ناصح علوان: ٤١. وتفسير الميزان ٤: ١٩٤.

٣ - النساء: ١٢٩.

٤ - عصمت الدين كركر: المرأة من خلال الآيات القرآنية: ٢١٠ عن سيد قطب في ظلال القرآن.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٥٧

٣ - ﴿..ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أي لا يكثر من تعولوا إذا اقتصر المرء على واحدة وإن أباح له أكثر منها^(١) أي لا يجوز له في حال العسر أن يجمع تحت عهده أكثر من امرأة واحدة «ونجد هذه الآية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع كفالة يتامى النساء والدعوة للحرص على حقوقهن الأدبية والمادية وهي بدورها تتعلق بموضوع الزواج فأول الآية» (فإن خفتن إلا تقسطوا في اليتامى) الآية، والمعنى والله أعلم: إذا أردتم الزواج بهن فابتعدوا عن هذا الزواج لما فيه من شبهه الطمع والإضرار وتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن مثنى وثلاث ورباع (ذلك أدنى ألا تعولوا) ومعنى تعولوا: تعدلوا وتقسطوا...^(٢).

وحُكي عن بعض أنه فسّر «تعولوا» بقوله: بكثرة عيالكم وردّه المتضلعون من علم اللغة بأنّ الذي يجيء للمعنى الذي بقوله هو: أعال يُعيل، بضم الياء لا: عال يعول^(٣).

تعدد أزواج النبي ﷺ

إنّ تعدد أزواج الرسول ﷺ أكثر من الحد المألوف، تسع نسوة في آن واحد آثار الكثير من الشكوك والإتهامات لرسول البشرية جمعاء

١ - تعدد الزوجات، عبد الله ناصح علوان: ٤٧، عن احكام القرآن للبهقي.

٢ - المرأة من خلال الآيات القرآنية: ٢١٠-٢١١.

٣ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن ح ٢: ٢٣٨، وانظر: حقائق التأويل: ٤١٦، تفسير التبيان ٣: ١٠٩، الكشف ١: ٤٦٨.

١٥٨.....المرأة في القرآن الكريم

دون ان يحكموا في ذلك العقل او يطلّعوا على الأسباب والحكمة من تعدد ازواجه ثم الظروف التاريخية التي ادت إلى هذا الغرض الرسالي العظيم واليك بعض خصوصيات ذلك الزواج:

١ - قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْنَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾^(١).

وهذا تحریم واضح بأن لا يحل له ان يتزوج امرأة على نسائه او ان يطلق احدها.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا...﴾، واضحة الدلالة بأنه لا يحل للمسلمين الزواج من نساء النبي بعد وفاته.

اما الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ فهذا ليس موضوع بحثنا ويمكن مراجعة ذلك في كتب السيرة النبوية^(٢).

ونستنتج من موضوع تعدد الزوجات في التشريع الإسلامي، انه كان من أجل مصلحة المرأة والحفاظ على كرامتها وكفالتها لا الاعتداء عليها كما يدعيه خصوم الإسلام، ولا يخفى ان هذا الزواج حاصل بصحة العقد وبرضا الطرفين مع ضمان الصداق وغيرها من موجبات العقد الصحيح، ثم

١ - الأحزاب: ٥٢.

٢ - انظر بحث تعدد ازواج النبي مفصلاً في كتاب: الميزان في تفسير القرآن م ٢: ١٩٥ - ١٩٨. وكتاب: نظام حقوق المرأة في الإسلام عن تعدد الزوجات، للشهيد مرتضى مطهري، وتعدد الزوجات في الإسلام لعبد الله ناصح علوان.

الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....١٥٩

انه لم يشرع تعدد الزوجات إلاّ في حالات خاصة وقيده بالعدل والقسط، ثم نفى سبحانه وتعالى العدل ولو حرص المؤمن بين الزوجات، ولكن عليه ان يحرص ألاّ يميل كلّ الميل فيذر الأخرى معلقة «فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان» وذلك هو الدين الحق.

وكانت الوصية الأخيرة للنبي ﷺ بالنساء كآخر ما تكلم به «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله في النساء، فإنهن عوان في أيديكم» الحديث.

المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد جواد البلاغي، تحقيق مؤسسة البعثة، ط ١ ١٤٢٠.
- ٣ - أساس البلاغة، للزمخشري.
- ٤ - أسباب النزول ، الواحدي النيسابوري المتوفى (٤٦٨هـ) ، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- ٥ - الاسلام عقيدة وشريعة، شلتوت محمود (معاصر).
- ٦ - الاشراف على مسائل الخلاف، القاضي عبد الوهاب.
- ٧ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور محمد طاهر (معاصر).
- ٨ - تربية المسلم، الشعراوي (معاصر).
- ٩ - تعدد الزوجات بين العلم والدين، عبد المحسن علي ابو عبد الله، دار الصفوة بيروت ط ١/١٩٩٧م.
- ١٠ - تعدد الزوجات في الاسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام ط ٤، ١٤٠٩هـ.
- ١١ - تعد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، الدكتور عبد الناصر توفيق، دار الشروق جدة ط ٤/١٩٧٧م.

١٦٢.....المرأة في القرآن الكريم

- ١٢ - تفسير النبيان للشيخ الطوسي، ١٩٦٣م.
- ١٣ - التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر.
- ١٤ - التفسير الكشاف للزمخشري (٥٢٨هـ) الطبعة الأولى.
- ١٥ - تفسير ابن كثير لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) - دار إحياء التراث العربي.
- ١٦ - التفسير المعين، الشيخ محمد هويدي، دار البلاغة.
- ١٧ - تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي.
- ١٨ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
- ١٩ - حقائق التأويل في متشابه التنزيل، الشريف الرضي.
- ٢٠ - حقوق الإنسان، دراسات حول الوثائق العالمية والإقليمية، إعداد الدكتور محمد شريف بسيوني وآخرين، نشر دار العلم للملايين ط ١٩٨٩/١م.
- ٢١ - حقوق الإنسان في الإسلام، مقال الحقوق الإنسانية للمرأة في الإسلام، السيد علي الخامنئي، خاص لمؤتمر الفكر الاسلامي، طهران ١٤٠٨هـ.
- ٢٢ - حقوق المرأة في الإسلام واوروبا، ١٩٧٨م.
- ٢٣ - حقوق النساء في الاسلام، محمد رشيد رضا.
- ٢٤ - دستور الاسرة في ظلال القرآن، أحمد فايز ط ١٩٨٠م.
- ٢٥ - رجال ونساء انزل الله فيهم قرآناً، عبد الرحمن عميرة.

المصادر.....١٦٣

- ٢٦ - الزواج، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٧ - الزواج الإسلامي، مؤسسة دار الكتاب الجزائري ط ١/١٤١٦هـ.
- ٢٨ - الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية، خليفة أحمد العقيلي، دار الكتب الوطنية بنغازي ط ١ - ١٩٩٠م.
- ٢٩ - سفينة البحار.
- ٣٠ - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق ط ١/١٩٩٦م.
- ٣١ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفى (٢٥٦هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ٣٢ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابن مسلم النيسابوري المتوفى (٢٦١هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ٣٣ - الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً، خاشع حقي، دار ابن حزم ط ١/١٩٩٧م.
- ٣٤ - الطلاق على متن الشرائع، الشيخ مفيد الفقيه، دار الصفوة، بيروت ط ١/١٩٩٤م.
- ٣٥ - عشرون سؤالاً وشبهة عن المرأة، أيوب الحائري الطبعة الأولى.
- ٣٦ - في ظلال القرآن، سيد قطب.
- ٣٧ - كتاب العين، الخليل أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح اسعد الطيب ط ١/١٤١٤هـ.
- ٣٨ - كتاب النكاح (ابن داود).

١٦٤.....المرأة في القرآن الكريم

- ٣٩ - لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي.
- ٤٠ - لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٤١ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٤٢ - المرأة في التصور الاسلامي، الاستاذ عبد المتعال محمد الجبري (معاصر).
- ٤٣ - المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد (معاصر).
- ٤٤ - المرأة من خلال الآيات القرآنية، عصمت الدين كركز (معاصر).
- ٤٥ - مسند أحمد، أحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١ هـ)، دار صادر - بيروت.
- ٤٦ - مغني المحتاج، محمد بن أحمد الشربيني المتوفى (٩٧٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٧ - مفردات الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي ط ١/١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٤٨ - مقارنة الاديان، اصدار مركز جهان علوم إسلامي.
- ٤٩ - موسوعة الفقه والقضاء في الأحوال الشخصية، المستشار محمد عزمي البكري، رئيس محكمة الاستئناف، دار محمود للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة ط ٩/ ١٩٩٩ م.
- ٥٠ - نظام حقوق المرأة في الإسلام، الشهيد مرتضى مطهري ترجمة الدكتور ابو زهراء النجفي ط ١ ١٩٨٥ م.

المصادر.....١٦٥

٥١ - نساء في القرآن، اعداد فؤاد حمد والدقس، دار القلم العربي ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٢ - نساء ورجال انزل الله فيهم قرآناً.

٥٣ - نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، الطبعة الأولى.

٥٤ - نفسية المراهق وتربيته، عسكر رياض محمد.

٥٥ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي المتوفي (١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٥٦ - وضع المرأة الحقوقي بين الثابت والمتغير، ندوة حوارية مع السيد محمد حسن الأمين، دار الثقلين بيروت لبنان ط ١٩٩٧/١م.

٥٧- www.asvaped.com

٥٨- www.foram.amr.khaled.net

٥٩- www.stop55.com

الفهرس

٧	كلمة المجمع
٩	المقدمة: وضع المرأة قبل الإسلام.....
١٧	مدخل
١٩	الفصل الأول: مكانة المرأة في القرآن الكريم.....
٢١	المبحث الأول: (حواء في الجنة)
٢٢	قصة الإغواء
٢٧	المبحث الثاني: الدفاع عن المرأة
٢٩	معنى الوأد وتاريخه عند المفسرين
٣٥	المبحث الثالث: تكريمه سبحانه للمرأة وضرب لها مثلاً.....
٣٧	المرأة في المثل القرآني.....
٣٨	مثلاً للذين آمنوا
٤١	مثلاً للذين كفروا.....
٤٧	الفصل الثاني: حقوق المرأة وواجباتها
٤٩	المبحث الأول: الحقوق المشتركة
٤٩	المساواة بين الرجل والمرأة
٦٣	المبحث الثاني: الحقوق الخاصة بالمرأة
٦٣	أولاً: المرأة امأً.....

١٦٨ المرأة في القرآن الكريم
٦٩ ثانياً: المرأة زوجاً
٧٤ حقوق الزوجة على زوجها
٧٤ أولاً: حق الصداق (المهر)
٧٦ ثانياً : حق النفقة
٧٦ ثالثاً: حسن المعاشرة
٧٧ أهداف الزواج
٧٩ الكفاءة الزوجية
٨١ ١ - زواج جويبر من بنت رئيس القبيلة
٨١ ٢ - زينب بنت جحش
٨٤ ممن يتزوج الرجال
٨٦ الاهتمام بالمرأة المؤمنة
٨٨ القرآن يسلط الضوء على العلاقات الزوجية
٨٨ ١ - القوامة
٩١ ٢ - الدرجة
٩٨ الخلاصة
٩٩ الفصل الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية
٩٩ أولاً: الحق الأدبي للمرأة
١٠٥ ثانياً: الحق الاقتصادي
١١٤ ثالثاً: الحق القضائي للمرأة
١١٩ رابعاً: الحق السياسي للمرأة

الفهرس.....	١٦٩
الفصل الرابع: الأحكام الخاصة بالمرأة.....	١١٩
أولاً: المشاكل العائلية.....	١١٩
أ - الشقاق.....	١٢٧
ب - الظهار.....	١٢٨
ج - الخلع.....	١٣١
د - الإيلاء.....	١٣٢
هـ - الإرث والعضل.....	١٣٤
ثانياً: الطلاق وأحكامه.....	١٣٧
أحكام الطلاق في آيات الطلاق.....	١٤٥
ثالثاً: حالات الشذوذ الجنسي وموقف الشرع منها.....	١٤٧
عقاب المحصنة.....	١٤٨
قذف المحصنة.....	١٥١
رابعاً: تعدد الزوجات.....	١٥١
الأنظمة الغربية تقر بتعدد الزوجات.....	١٥٢
ضرورات تعدد الزوجات.....	١٥٤
مسألة التعدد في القرآن الكريم.....	١٥٥
تعدد أزواج النبي ﷺ.....	١٥٧
المصادر.....	١٦١
الفهرس.....	١٦٧